

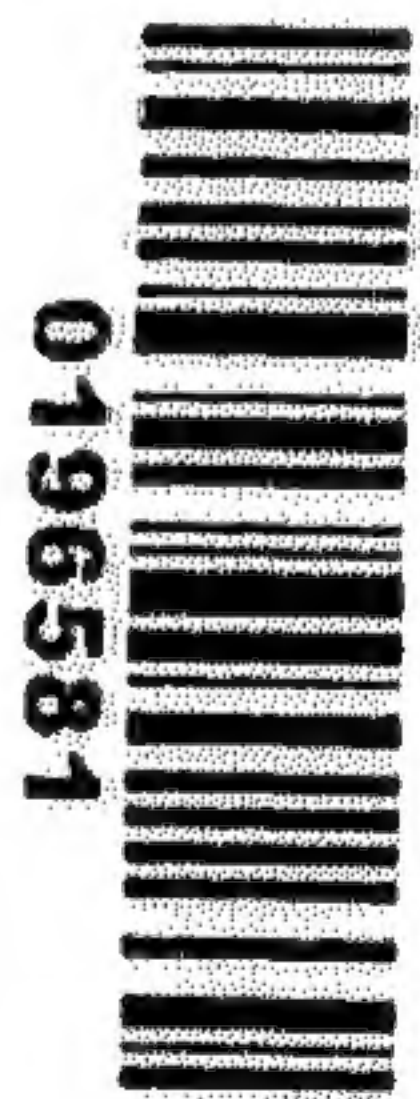
المكتبة الثقافية

٢٩

قضية كينيا

الدكتور عبد العزيز كامل

وزارة
الثقافة والإعلام
إدارة العامة للشقا



0196581

المكتبة الثقافية

Bibliotheca Alexandrina

١٥ يناير ١٩٦١

اهداءات ١٩٩٩

١/ محمود محمد علي العيسوي

الإسكندرية

7662

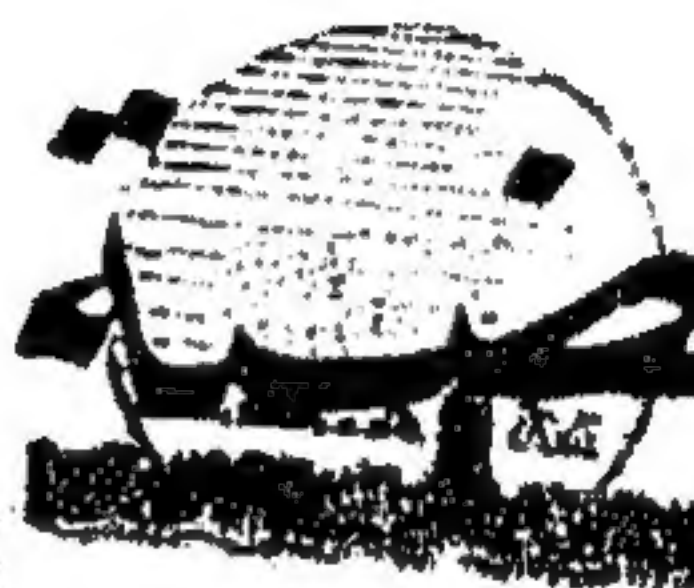
المكتبة الثقافية

٢٩

967.62

كتاب

قضية كينيا



الدكتور عبد العزيز كامل

GOVERNMENT OF KENYA NATIONAL LIBRARY AND ARCHIVES
NATIONAL LIBRARY AND ARCHIVES

وزارة
الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

الهيئة العامة للمكتبة الاسكندرانية

رقم القيد: 967.62

لغة

رقم التسجيل: ١٤١٤٤/٢

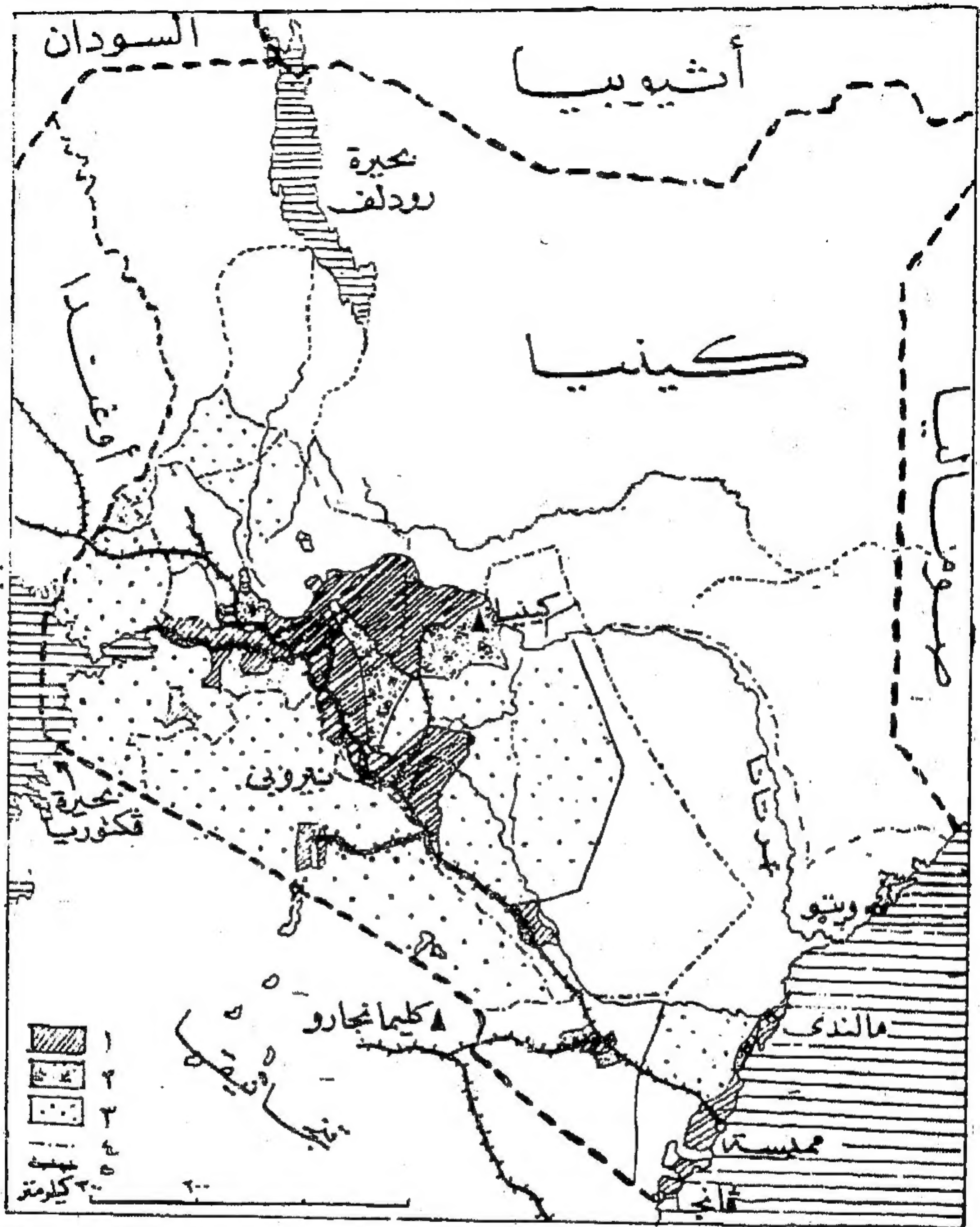
١٥ يناير ١٩٦١

الناشر



دار الفلم

كينيا

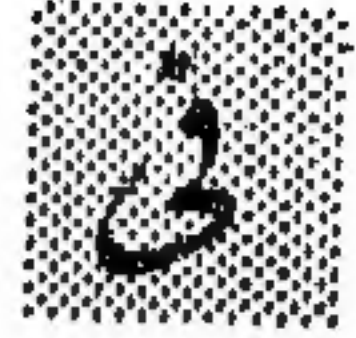


- ١- أرض استولى عليها الأوربيون
- ٢- الغابات المحفوظة
- ٣- أرض إفريقية
- ٤- حدود المديرية
- ٥- الخطوط الحديدية
- ٦- الجبال

جمهورية كينيا

١٤ أبريل ١٩٥٩ أتم جومو كينيا - زعيم كينيا -

تنفيذ الحكم الصادر عليه بالسجن سبع سنوات



في حوادث ثورة ماو ماو .

وأصدرت الحكومة أمرها بنقله من السجن إلى معتقل دائم ، أعدته له في « لدور » . وهي قرية منعزلة في المديرية الشمالية في كينيا ، قرب حدود السودان ، وتبعد أكثر من اربعمائة كيلومتر عن أقرب مدينة .

في هذا المنفى البعيد يقضى كينيا ايامه . مسكنه هناك حجرتان صغيرتان يطهو فيهما طعامه بنفسه ، وله أن يتجول في القفر المحيط به ، وأن يحصل على جهاز « راديو » لا يستقبل إذاعة القاهرة أو موسكو . وعليه أن يتصل كل يوم بمفتش المركز ، وأن يبقى في المعتقل من الغروب إلى الفجر . وحرمت عليه الحكومة القراءة ، وأن يعقد أى اجتماع أو يشارك في أى منظمة . ومنعته من استقبال أى زائر إلا بإذن من السلطة المركزية في نيروبي .

وتاريخ ميلاد كينيا غير معروف بالدقة . ولعله الآن فوق
الستين . وبريطانيا تؤمن أنه — رغم تقدم سنه — لا زال قادرا
على تجميع الإفريقيين وقيادتهم في محاربة الاستعمار ، وله من قوة
الشخصية ما يجعله محورا خطرا يلتف حوله مواطنوه ، وقد
وصفه سير فيليب ميتشل — الحاكم العام السابق لكينيا — فقال
عنه : « إن له نظرات ، هي أعمق وأشد النظرات التي رأيته
في حياتي نفوذا وسيطرة » . . من أجل هذا قررت بريطانيا
أن يكون اعتقاله مدى الحياة .

وترتبط حياة كينيا بأوثق الارتباط بقضية كينيا . فعندما
كان طفلا ، شاهد الأرض الطيبة التي عاش عليها آباؤه وأجداده
يغتصبها غرباء جاءوا من وراء البحار أو زحفوا إليها من جنوب
إفريقيا . وفي شبابه وكهولته كان اللسان المدافع عن قومه
وحقهم في الحياة ، وعمل لوطنه الكبير في كل مكان حل فيه . .
في إفريقيا نفسها . . في أوروبا . . في المحافل العامة . . في
المؤتمرات الدولية . . أمام لجان التحقيق . . ومن أجل إفريقيا
يقضى كينيا أيامه في معتقله البعيد .

وكينيا من قبيلة الكيكويو — أكبر قبائل كينيا —
وتعدادها نحو ١٢ مليون نسمة . ونشأ في قرية صغيرة ، وكان

اسمه وقتئذ كامو وانجنجى ، وفى سن العاشرة التحق بإرسالية
الكنيسة الأسكتلندية فى بلدة كيكويو جنوب جبل كينيا . وبعد
تعميده سُمى « جونستون » ، وعمل فى طفولته الباكورة مساعدا
فى مطبخ أحد الأطباء المرسلين ، وتدرّب فى قسم التجارة الذى
أنشأته الإرسالية . وكان فيه ذكاء فطرى دفعه إلى قراءة كل
ما يقع تحت يده ، ولما اشتد عوده عمل مفتشاً فى إدارة مياه
نيروبي ، وانضم إلى جمعية شرق إفريقيا عندما أنشأها « هنرى
ثوكو » عام ١٩٢٢ ، وكانت هذه الجمعية أول تنظيم سياسى قبل
أنشاء الكيكويو . وسرعان ما أصدرت الحكومة أمراً بحلها .
وفى عام ١٩٢٩ تكوّن تنظيم جديد باسم « جمعية الكيكويو
المركزية » وانتخب « كنياتا » أميناً عاماً ، وأصبح محرر
جريدتها « مويجثانيا » .

ولم تكن ثقافته قاصرة على ما يقرأ من كتب ، وإنما استطاع
أن يعى الكثير من تراث قبيلته . ويذكر فى مقدمة كتابه
« مواجهة جبل كينيا » جوانب من هذه الثقافة : فتقاليد القبيلة
وتراثها تتناقلها الأجيال بالمشافهة والممارسة دون كتابة ، وحياة
الفرد عند الكيكويو - كما هى عند كثير من القبائل الإفريقية -
مقسّمة إلى مراحل ، وعند الانتقال من مرحلة إلى التى تليها ،

تعقد القبيلة مباريات يتنافس فيها الأفراد في مدى استيعابهم
هذا التراث ، ويقوم الآباء والحاضرون بتصحيح أى خطأ يقع
فيه أحد المتبارين .

بهذا استطاع كنياتا في طفولته وشبابه أن يعى الكثير
من تراث قبيلته ، ومر في مراحل السن التى يمر فيها أنداده .
واختاروه قائداً لهم . وساهم في مرحلة المحاربين فاكتسب
خبراتها . وعندما تولى تحرير جريدة مويجثانيا ، قام بجولات
واسعة في أرض الكيكويو وقابل الكثيرين من أفراد القبيلة ،
وتدراس معهم مشكلاتها ، واشترك في مجالس حكماء الكيكويو
- وهم كبار القوم هناك - وتمرس بطرقهم في معالجة المشكلات .
حتى السحر ، أخذ منه « كنياتا » بطرف ؛ فقد كان جده
ساحرا وكثيرا ما كان يصحبه وهو صغير ليحمل حقيبة أدوات
السحر . وأتاح له حياته في منطقة الكيكويو الوسطى -
ولها شهرتها في فنون السحر - أن يزداد خبرة به .

وكان والده من أصحاب الأرض بين الكيكويو . ولما كان
كنياتا أكبر أولاده ، فقد عنى الأب بتعليمه تراث قومه
في حياة الأرض ، وشهد الكثير من مشكلاتها العامة والخاصة
في وطنه .

بهذا كله ، جمع كنياتا خبرة أصيلة في مشكلات كينيا ،
وقدرة على التعبير عن هذه المشكلات والدفاع عنها ؛ ولهذا
أرسلته جمعية الكيكويو المركزية في عام ١٩٢٩ إلى لندن ،
ليشرح قضية قومه هناك أمام المسؤولين البريطانيين . وفي لندن
اتصل بالفايين . وغير اسمه إلى جومو . ومعناها عند الكيكويو
الريح الملهب . أما كلمة « كنياتا » فيمكن أن نلاحظ التشابه اللفظي
بينها وبين كينيا : وطنه . وتدل الكلمة في لغة الكيكويو
على الغرابة في الملبس .

وتتلمذ كنياتا في جامعة لندن على الدكتور مالبينوفسكى
أستاذ « الانثروبولوجيا » ، وبإشرافه أعد كتابه عن قبيلة
الكيكويو ، ونشره لأول مرة عام ١٩٣٨ . وكتب الأستاذ
مقدمة الرسالة وجاء فيها : إنها من الكتب التي يمكن اعتبارها
- بحق - إضافات بناءة أصيلة « للأنثوجرافيا » الإفريقية ،
كتبها باحث من أصل إفريقي نقي ، وأعيد طبع هذا الكتاب
عام ١٩٥٣ .

وعندما ظهر الكتاب أول مرة ، كتب الباحث الإنجليزى
دكتور ليكى عن كنياتا وزملائه من شباب الكيكويو
« إن هذا النفر من الشباب يعتبرون أنفسهم أصحاب رسالة ،

ونفوسهم تشتعل برغبة جارفة لياخذوا بأيدي قومهم ،
ويصححوا الأخطاء التي تَحيا فيها كينيا .

واستطاع كنياتا وقت حياته في لندن مدافعا عن قضية
كينيا ، أن يكتسب خبرات جديدة في رحلاته الكثيرة ،
فجال في شمال غرب أوروبا وفي روسيا ، واشتغل بتدريس لغة
الكيكويو في مدرسة اللغات الشرقية بلندن ، وعمل في الزراعة
وقت الحرب ، وأحس مرارة التفرقة العنصرية . وفي عام ١٩٤٥
رأس في منشستر مؤتمرا للاتحاد الإفريقي ، كان هدفه تنظيم
العلاقات بين الهيئات السياسية للسود في العالم كله ، وحضر
المؤتمر مندوبون من إفريقيا وجزر الهند الغربية والولايات
المتحدة ، وتولى أمانته العامة « كوامي نكروما » ، وفي
عام ١٩٤٦ عاد كنياتا إلى كينيا واستقر فيها بعد أن غاب عنها
سبعة عشر عاما .

ومنحه قومه مزرعة « إيشاويري » ومنزلا فيها . وعلى هذا
المنزل كان يرفرف علم اتحاد كينيا الإفريقي بألوانه الثلاثة :
الأسود رمز الشعب والأخضر رمز الأرض والأحمر رمز
الدم المراق في تحريرها ، ووسط العلم درع ورمح وسهم
ذهبية اللون .

وقاد كنياتا بعد عودته حركة التحرير في كينيا ، وتابع
الجهود التي بذلها قومه لتنظيم انفسهم ورفع مستواهم وتعبئة
شعورهم ، فقد قاطع الكيكويو مدارس الإرساليات وأخذوا
في إنشاء مدارس خاصة بهم ، كما أنشأوا كلية للمعلمين أصبح
كنياتا الموجه لنشاطها .

واعتنق نفر من الكيكويو المسيحية . ولكن — كما يقول
جنتر — كانت قشرة المسيحية بالغة الرقة في كثير من الأحيان ،
وكثيرون لم يستوعبوا الدين الجديد تماما ، ولم يجدوا من
المسيحيين الأوروبيين تطبيقا كريما لتعاليم المسيحية السمحة ،
ولذلك أنشأ الكيكويو لأنفسهم كنائس منفصلة .

كان كنياتا قبل سفره الأمين العام لجمعية الكيكويو
المركزية ، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية أوقفت الحكومة
نشاطها ، ولكن الكيكويو أعادوا تنظيم أنفسهم سياسيا على
نطاق أوسع من نطاقهم القبلي ، فكونوا في عام ١٩٤٤ « اتحاد
كينيا الإفريقي » . وعندما ازداد شعور السخط على الحكومة
البريطانية أعلنت الأحكام العرفية واعتقلت رئيس الاتحاد ونائبيه :
كنياتا وأوديدى وأغلقت مدارس الكيكويو ، وانفجرت
ثورة ماو ماو .

وحاولت الحكومة البريطانية قبل اعتقال كنياتا أن تستعين به على تهدئة الثائرين ، وكانت الآلاف تتجمع للاستماع إليه ، وقد سبق له أن أمر قومه بمقاطعة البيرة الإنجليزية فقاطعوها والقبعات البريطانية فخلعوها ، وادّعت بريطانيا أن كنياتا لم يكن خالص النية في نصيح قومه بالبعد عن العنف ، ورغم عجزها عن إقامة الدليل ، فقد دعت إلى الخطابة فخطب ، وإلى نصيح قومه فنصح ، ولم يثر عليه أحد ، ورغم هذا ظلت النفوس ملتهبة والجو متوترا ، ونيران الثورة تمتد وألسنتها تتصاعد ...

كانت بريطانيا تعلم أن أطفال الكيكويو يتغنون باسم كنياتا في أغانيهم ، وأن الشباب ينظرون إليه قائدا مخلصا لقضية كينيا ، والشيوخ يرون فيه الأمل الذي عاشوا من أجل تحقيقه . وكانت ترى المجتمع الإفريقي — رغم المظالم والتزاع الأرض — يأخذ في التطور وينشئ مدارس وكنائسه وينظم صفوفه في مجالات الحياة المختلفة ، وأدى هذا الوعي إلى قلق وتوجس بين المستوطنين الأوروبيين ، وتحول التوجس إلى ذعر وتحرش قابله بعض الإفريقيين بعنف ، فلصبرهم مهما طال حدود .

وبريطانيا لا تحتاج إلى مبررات كثيرة تستند إليها في تنفيذ

مآربها فى تحطيم اتحاد كينيا الإفريقى ، وسجن كنياتا وأنصاره
من زعماء كينيا وتشريد الإفريقيين هناك . فعندما أيقنت أن
المد الإفريقى آخذ فى الارتفاع المصادق ، سارعت بإعلان حالة
الطوارئ واعتقلت كنياتا فى ٢١ أكتوبر ١٩٥٢ وحملته الطائرة
إلى قرية كانبجوريا فى المديرية الشمالية ، وشملت حركة الاعتقال
كثيرين ، وعم الاضطهاد أرض الكيكويو ، ففرت جموعهم
مذعورة إلى الجبال يتعقبها الرصاص ، وتحضرها السيارات ثم تلفها
القيود وتسوقها السياط فى قسوة بشعة إلى المنافى والمعتقلات .

واهزت إفريقيا من حوادث كينيا ، وأعلنت كثير من
الهيئات تأييدها لحركة التحرير هناك ، واحتجت على المظالم
التي صبها المحمية الأوربية على القرى الآمنة العزلاء ، وبدأت
محاكمة كنياتا فى ٤ ديسمبر ١٩٥٢ فى قرية كانبجوريا النائية ،
ودافعت عنه هيئة من المحامين بقيادة مستر بيرت المحامى البريطانى
وجاءت هذه الهيئة من الهند وجزر الهند الغربية وغرب إفريقيا ،
واحتج الدفاع على إجراءات المحكمة وظروفها ، فلم تكن هناك
مكتبة قانونية ، ولا مكان ملائم للإقامة ، حتى ماء الشرب كان
مشكلة ، واصطنع بوليس كينيا أربعة وأربعين شاهداً ، على رأسهم

روسن مشاريا مېوجوا . وألقى كنياتا دفاعا رائعا كشف به الستار
عن حقيقة المأساة التي تحيا فيها كينيا ، واستنكر العنف وتبرأ
منه . وخاطب القاضي « نكر » قائلا :

« نحن لسنا مذنبين ، ولا نشعر بأننا لقينا منك العدل
او سمعنا منك ما نحب أن نسمع ، نحن نشعر أن هذه القضية
قد ربت بطريقة ترمي إلى خنق اتحاد كينيا الإفريقي ، وهو
المنظمة السياسية الإفريقية الوحيدة التي تحارب من أجل حقوق
الإفريقيين . إن الذي نعارضه وسنظل نعارضه هو مظاهر التمييز
في المعاملة التي تسير عليها الحكومة ، سوف لا تقبل هذا سواء
كنا في السجن أو خارجه ، إن هذه الدنيا قد خلقت ليعيش
الناس فيها سعداء معاً ... »

وذكر كنياتا أنه وزملاءه بذلوا أقصى الجهد لتعيش
الجماعات في كينيا متوافقة والتفت إلى القاضي قائلا :

« أنت كأروبي قد تحس أننا نحمل لكم شيئاً من الكره ...
إن نشاطي كان ضد الظلم الذي حاق بالإفريقيين ، وإذا كنت
تظن أننا حين نطلب العدل للإفريقيين قد انقلبنا إلى ما تسميه
ماوماو ، فإننا نأسف لأنك جانبك الصواب ، إن الذي عملنا
له ، وسنظل نعمل له ، هو : المطالبة بحقوق الإفريقيين كبشر ،

وأن يتمتعوا بالطيبات التي يتمتع بها الآخرون . إنا نتطام إلى
اليوم الذي يحل فيه السلام بهذه الأرض ، ويظهر الحق ، وإنا
— معشر الزعماء الإفريقيين — عملنا من أجل السلام . نحن بشر
ولنا أسر ولا يمكن لأحدنا أن يغفر هذه الأعمال التي تظنون
أنا متهمون بها ، باسم إخواني لا أسأل أي رحمة ، إنما نسأل
أن يأخذ العدل مجراه وأن تصحح الأخطاء الموجودة .

وصدر الحكم بسجن كنياتا وأربعة من زملائه بالسجن
سبع سنوات مع الأشغال الشاقة ، وصودرت مزرعة كنياتا وأعلن
المستولون أنه سيخضع لقيود خاصة بعد انتهاء مدة سجنه .

ورأت حكومة كينيا — بعد إعلان الأحكام في ٨ إبريل
سنة ١٩٥٣ — ضرورة تخصيص حراسة قوية للقاضي « ثكر »
وحملته الطائرة إلى بريطانيا حيث يجد فيها الأمن .

واشتد ضغط المستوطنين الأوربيين على حكومة كينيا
فأصدرت أمرها بحل اتحاد كينيا الإفريقي في ٨ يولية ١٩٥٣ ،
وادعت أنه غطاء لحركة ماوماو .

ومرت الأعوام ثقيلة كئيبة . وفوجئت « العدالة » البريطانية
في ٢٢ نوفمبر ١٩٥٨ بتطوع « مشاريا » — الشاهد الأول ضد
كنياتا — بتسجيل شهادة جديدة . وأعلن رسميا — بعد أن عذبه

ضميره — أنه والشهود الآخرين قد أغرتهم الحكومة ليشهدوا
ضد كنياتا وأنها أنفقت ما يزيد على أحد عشر ألفا من الجنيهات
في شراء الشهود .

و ثارت حكومة كينيا عندما قاد الزعماء الإفريقيون برئاسة
توم مبيويا حملة ضد الأحكام التي صدرت بناء على هذه الشهادات ،
وقدمت مشاريا للمحاكمة وصدر الحكم بسجنه ٢١ شهرا بعد أن
(ثبت) للمحكمة أنه مذنب . وكان الحكم في ١٥ إبريل ١٩٥٩ .
و وصفه القاضي بأنه خبيث ولا ضمير له من رأسه إلى قدمه .
ورغم اعتراف مشاريا الصادق بقي كنياتا في سجنه
وظلت المعتقلات منطوية على من فيها من الأبرياء . ولا زالت
أجود الأرض تحت أيدي حفنة من الأوربيين . هذه الأرض
التي حرمت منها أصحابها الإفريقيين وأجلائهم إلى مساحات ضيقة
أو غير ملائمة يقاسون فيها حياة مرهقة ، فلما ارتفع صوتهم
بالشكوى ، كونت بريطانيا لجان تحقيق حاولت إغراق الشعور
الإفريقي في سيل من التقارير ، فلما تماسك هذا الشعور ورفع
رأسه بطشت به الحكومة وشهدت كينيا أعواما دموية رهيبة .

ولكن . . . كيف بدأت هذه القصة ؟

تسابق بين المستعمرين

قصة الاستيلاء على كينيا وانتزاع أجود ارضها من أهلها ، حلقة من الجهود الاستعمارية التي بذلتها القوى الأوروبية للسيطرة على إفريقيا . ولشرق إفريقيا خصائص انعكست على الصراع بين الإفريقيين والمستعمرين ، كما انعكست من قبل على الصلات بين الإقليم ومراكز العمران البشرى التي اتصلت به . وتوضيح هذه الخصائص ، يحتاج إلى ذكر بعض الحقائق التي قد تعتبر جافة ، ولكنها تمثل الهيكل الذى يقوم عليه البناء .

فاصطلاح « شرق إفريقيا » يطلق الآن على اوغندة وكينيا وتنجانيقا والجزائر الساحلية المقابلة فى المحيط الهندى ، ومجموع مساحة الإقليم نحو ٢ مليون كم^٢ ، أى ضعف مساحة الإقليم المصرى . ويمتد من خط عرض ٥° شمالا إلى خط عرض ١٠° جنوبا . فالإقليم استوائى ، ولكنه يمتاز عن بقية العروض المقابلة فى وسط وغرب إفريقيا بميزات خاصة فى الموقع والتضاريس والمناخ والحياة النباتية وتوزيع اليابس والماء ، ولهذه المميزات آثارها العميقة فى أنماط الحياة البشرية ومشكلاتها .

والأقسام السياسية في الإقليم حديثة التكوين ؛ ولهذا سندع
أسماءها إذا ما رجعنا إلى المراحل السابقة للصراع الاستعماري
في القرن التاسع عشر ، وسننظر إلى الإقليم كوحدة طبيعية لها
خصائصها العامة ومصيرها المشترك الذي لا يعترف بهذه الحدود
المصطنعة .

ويطل شرق إفريقيا بجهة بحرية طويلة على المحيط الهندي ،
وتصطدم أمواج المحيط الدافئة بسلسلة طويلة من الحواجز
المرجانية تمتد موازية للشاطئ ، وترتفع فوق المياه الساحلية
جزر تتباين مساحاتها ، وأهمها جزيرتا زنجبار وبمبا ، وتمدان
العالم في الوقت الحاضر بنحو ١٠ إنتاجه من القرنفل ، هذا
فضلا عن الدور الكبير الذي قامتا به في تاريخ شرق إفريقيا
ونشر الحضارة العربية فيه .

وإذا ما اتجهنا من الساحل إلى الداخل ، رأينا أمامنا سهلا
ساحليا يختلف ضيقا واتساعا ، شديد التأثير برطوبة المحيط ،
ويرتفع فوقه نخيل جوز الهند وأشجار البواباب الضخمة ،
وتأخذ الأرض بعد هذا في الارتفاع إلى الهضبة الإفريقية التي
تشرف على السهل بمحافات واضحة المعالم . وتقل فوق الهضبة
موارد المياه ، وينتشر ذباب تسي تسي - ناقل مرض النوم -

فيحول دون تربية الماشية في أجزاء واسعة . وتبدو امامنا بعد
هذا مرتفعات ذات تربة بركانية غنية ، يزداد فيها المطر وتعتدل
الحرارة ويختفي مرض النوم ويزدحم السكان .
هذه المرتفعات من أهم مناطق الاستقرار البشري في شرق
إفريقيا . ومن قديم استقرت فيها القبائل الإفريقية : تزرع
أرضها وترعى مراعيها وتستغل غاباتها ، وإلى هذه المرتفعات
اتجهت أنظار الأوربيين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل
القرن العشرين . ومن أجل هذه المنطقة يدور الصراع بينهم
وبين الإفريقيين . وتتحد الأرض بنا بعد هذا غربا إلى الأخدود
الإفريقي العظيم ، ثم تعود مرة أخرى إلى الارتفاع في الحافة
الغربية من الأخدود حيث يزدحم السكان ، وتتدرج الأرض
بعد هذا هابطة في اعتدال إلى هضبة البحيرات حيث منابع النيل
الاستوائية .

ومن قديم اتصفت أسباب التجارة بين آسيا وشرق إفريقيا ،
واستطاعت السفن المصرية من العهد الفرعوني أن تصل إليه عن
طريق الملاحة في البحر الأحمر والدوران حول القرن الإفريقي .
وانتظمت طرق التجارة بين الشاطئين الإفريقي والآسيوي بعد
أن كشف الملاحون سر الرياح الموسمية وهبوها إلى آسيا صيفا

ومنها شتاء ، وكان ظهور الإسلام عاملا قويا في توغل النفوذ العربي والإسلامي في داخل شرق إفريقيا ، وأقام المسلمون مراكز استقرار على طول الساحل تمتد من الصومال شمالا إلى «موزمبيق» جنوبا ، وبدأ عهد من السيادة العربية الفارسية من القرن العاشر الميلادي ، وصل إلى ذروته فيما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر ، واستقرت الحضارة الإسلامية على طول الشاطئ الشرقي ولا زالت كذلك حتى الآن .

والمسلمون لم يكونوا تجارا فقط ، وإنما كانوا رسل حضارة : كانوا دعاة حملوا معهم الإسلام ونشروه ، وزراعا أدخلوا زراعة جوز الهند وقصب السكر والأرز والقطن والمانجو والمواالح ، وأحدثوا بذلك تطورا كبيرا في اقتصاديات شرق إفريقيا .

وعندما دار البرتغاليون حول رأس الرجاء الصالح وشاهدوا شرق القارة ، أدهشهم ما رأوه من مدن عامرة ذات حضارة ، وحكومات مستقرة ، ووجدوا أنفسهم أمام الملاحين العرب المزودين بالخرائط والأجهزة البحرية ، وتولى هؤلاء توجيه « فاسكو داجاما » إلى الهند مستفيدين من الرياح الموسمية .

وبدأت الحرب عنيفة بين الدول العربية الإسلامية في شرق إفريقيا والقوى الغازية الجديدة ، واستطاع البرتغاليون أن يسيطروا على مراكز العمران هناك ، وانتهى بذلك عهد النهضة الإسلامية الأولى في الإقليم ، ولم يتوغل البرتغاليون كثيرا في الداخل ، وكانوا يحصلون على ما يحتاجون إليه من خيرات الإقليم عن طريق المبادلة مع التجار ، وأدخلوا بعض الغلات الزراعية كالذرة الشامية والبطاطا والقرع والطباق ، وانتشرت زراعة هذه الغلات داخل الإقليم .

فإذا ما رجعنا إلى الشاطئ العربي في القرن السابع عشر وجدنا نشاطا جديدا دينيا وسياسيا وتجاريا في إمامة عمان على الخليج العربي . ومنذ منتصف ذلك القرن تطلمعت الإمامة إلى طرد البرتغاليين واسترداد الأرض المفقودة في شرق إفريقيا وتطهيره من النفوذ البرتغالي ، وركز هؤلاء جهودهم في «موزمبيق» ولا زالوا فيها حتى الآن ، وفي أوائل القرن الثامن عشر حاول البرتغاليون استعادة مركزهم في شرق إفريقيا ، مستعينين في ذلك ببعض الولاة المحليين ، ولكن إمام عمان سارع إلى إحباط المؤامرة ورحل البرتغاليون من شرق إفريقيا نهائيا عام ١٧٣٠ ولم يتركوا وراءهم في حياته إلا أثرا ضئيلا . فالبرتغاليون كانوا حكاما قساة

ضاق السكان بمظالمهم ، وكانوا ينظرون إلى شرق إفريقيا كمعبر إلى الهند فلم تتجه أنظارهم إلى تنميته والاستقرار فيه .
ومن وقت أن تولى السيد سعيد أمر إمارة عمان (١٨٠٤ - ١٨٥٦) بذل جهوده في مد نفوذه على الساحل الإفريقي وتقوية زنجبار ، ونقل إليها مركز حكمه عام ١٨٤٠ وترك أحد أولاده حاكما على مسقط ، ويعتبر سعيد أعظم حاكم عربي شاهده شرق إفريقيا . فقد استطاع أن يرفع من شأن الإمامة ، وبدأ في تأسيس مدينة زنجبار على الجزيرة وفي عام ١٨٣٢ جعلها عاصمة ولاياته الإفريقية ، وامتد نفوذه على الساحل من مقديشو شمالا إلى تونجى جنوبا وهي مسافة تقدر بأكثر من ١٦٠٠ كيلومتر ، كما امتد نفوذه أيضا داخل شرق إفريقيا ووسطها حتى وصل إلى حدود الكونغو وأوغندا وروديسيا . وانتشرت في هذه الأجزاء كلها شبكة من خطوط القوافل تربط بين الساحل وكل من شواطئ بحيرة فيكتوريا وتنجانيقا ونياسا ، وتابع توغله في الأجزاء الشرقية من الكونغو ، وعلاصيته حول البحيرات العظمى حتى قيل في تلك الأيام : « إن الناس على شواطئ البحيرات يرقصون على أنغام زنجبار » . وانتشرت القرى العربية في كينيا وتنجانيقا والأجزاء الجنوبية

من الصومال ، ووصل بعض المستوطنين العرب إلى مراكز
الزعامة بين القبائل الإفريقية تحت سيادة سعيد . وحرصا على
سلامة الدولة أوصى سعيد بتقسيمها بين ولديه : يتولى أحدهما حكم
القسم الإفريقي ، والثاني حكم القسم الآسيوي . وكان الرجل بعيد
النظر ولعله أدرك صعوبة الجمع بين القسمين الآسيوي والإفريقي .
وتولى ابنه ماجد حكم القسم الإفريقي ، وأراد أخوه السيطرة
الكاملة على الدولة ، فاستنجد ماجد ببريطانيا ، وكان لها أكثر
من مصلحة في التدخل ، واستطاع الأسطول البريطاني أن يقر
الوضع الذي أوصى به سعيد قبل موته ، وكونت بريطانيا لجنة
لتخطيط هذه السياسة ، فانفرد ماجد بحكم القسم الإفريقي
وأصبح يحمل لقب سلطان زنجبار ، وضمت بريطانيا حدود
الدولتين الجديدتين في وثيقة تم توقيع الأخوين عليها عام ١٨٦١ .
ولم يعمر ماجد طويلا . وخلفه أخوه السيد برغش عام ١٨٧٠ .
ومع مزاياه الشخصية الكثيرة إلا أنه كان ميالا إلى الإسراف .
وخلفه أخوه الأصغر السيد خليفة (١٨٨٨) وفي عهده حدث
تقسيم شرق إفريقيا بين الدول الأوربية الاستعمارية .

* * *

كان الاستعمار الأوربي أول الأمر يكتفى بالجزر والنقط

الساحلية يتخذها مرا كز تجميع خيرات القارة ، تاركا التوغل في الداخل لشركات تحت نفوذه وتجار محليين يعملون لحسابه ، وأخذت الدول الأوربية في الامتداد على الساحل ، ثم جاءت بعد هذا مرحلة ثالثة بالتوغل في الداخل والسيطرة عليه .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر نشطت جهود الكشف الجغرافي في إفريقيا ، وشجعها المطامع الاستعمارية الأوربية ، وكانت بريطانيا تسيطر وقتئذ على الهند ، مما جعلها على مقربة من شرق القارة ، وعلى صلة مباشرة بتطوراتها .

ومن مدن الساحل وجزائره تقدم كاشفون من ألمهم : سبيك ، وبرتون ، وجرانت . واستطاع سبيك كشف بحيرة فكتوريا عام ١٨٦٢ ، وكانت البحيرات العظمى معروفة للتجار العرب . وهم الذين تولوا قيادة الطريق في الرحلات التي قام بها الأوربيون ، فالكشف الجغرافي هنا في الواقع عبارة عن تسجيل علمي وإعلان للمعلومات التي كان يعرفها السكان المحليون والتجار العرب الذين كانوا يتعاملون معهم ، وأثارت الكشف مطامع الأوربيين ودفعتهم إلى التوغل في قلب القارة ومحاولة السيطرة عليها . وفي شرق القارة كان التنافس بين بريطانيا وألمانيا .

أما بريطانيا فتقدمت تحت راية العمل الإنساني ومكافحة

الرقيق ، وهذه التجارة في إفريقيا كانت تهدف - أول ما تهدف - إلى مد العالم الجديد بحاجته من اليد العاملة الرخيصة : وسبق أن قامت السفن البريطانية بدور كبير في هذه التجارة بين غرب القارة والعالم الجديد عندما كانت الولايات المتحدة تابعة لبريطانيا ، وكان من مصلحتها أن يزدهر الاقتصاد هناك وأن تتوفر الوسائل المعينة عليه مهما كانت طريقة هذا التوفر . ولم يكن عند التجار البريطانيين ولا الحكومة البريطانية ما يمنع من اتخاذ الإنسان سلعة تستهلك حيويتها في حقول العالم الجديد ، وتغير الموقف بعد حرب الاستقلال الأمريكية ، فلم تعد الولايات المتحدة حقل إنتاج بريطاني ، واشتدت عناية بريطانيا بإفريقيا ، وانعكست هذه العناية رغبة في الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من القارة والاحتفاظ باليد العاملة فيها ، ولم تكن هناك وسيلة تحقق أهدافها أفضل من محاربة الرقيق .

وفي ظل الدفاع عن الكرامة الإنسانية ، استطاعت بريطانيا أن تحتفظ بالإفريقيين لتستغلهم بعد هذا في الإنتاج الاقتصادي المحلي . واستطاعت أن تبسط نفوذها على الحكام الإفريقيين وتبعث عملاءها وجنودها إلى قلب القارة ،

وأن تحطم القوة البحرية العربية في المحيط الهندي ، وإن تمهد السبيل للسيطرة على شرق إفريقيا .

وفي عام ١٨٨٣ عقدت بريطانيا معاهدة مع السلطان برغش ، تقضى بتحريم تصدير الرقيق من شرق إفريقيا وإغلاق أسواق الرقيق في جميع ممتلكاته ، وزادت هذه المعاهدة من نفوذ بريطانيا في شرق القارة ، ومهدت لهذا كله بتعيين «جون كيرك» قنصلا عاما ومندوبا سياسيا لها في زنجبار ، واستطاع كيرك أن يكسب ثقة السلطان وأن يصبح القوة المحركة لسياسة زنجبار ، إلى درجة أنه أقنع السلطان بتعيين بريطاني هو «لويد ماثيوز» أميرالايا لجيشه . واستطاع «وليم ماكينون» - وهو مؤسس شركة ملاحية بين المحيط الهندي وأوروبا - أن يسيطر على تجارة السلطنة . وبهذا تمكنت بريطانيا من أن تتحكم في أكبر قوة محلية - وهي سلطنة زنجبار - وتسيطر عليها سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، وثبتت بذلك أقدامها في شرق إفريقيا التي زادت أهميته كثيرا بعد فتح قناة السويس للملاحة العالمية ، ونشطت بريطانيا في التعرف على خيرات الإقليم الداخلي ، ومن أهم مظاهر هذا النشاط ما قام به «جوزيف تومسون» بين عامي ١٨٨٢ - ١٨٨٤ تحت رعاية الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية .

سافر تومسون من ممبسة على الساحل حتى بوسوغا على الشاطئ، الشمالى لبحيرة فكتوريا ، وكشف أهم الظاهرات التى يميز بها شرق إفريقيا ، ووثق جون كيرك فى الوقت نفسه روابطه مع زعماء منطقة كلنجارو وشجع إرسال بعثة علمية إلى هذه المنطقة الجبلية الهامة ، وقامت هذه البعثة برئاسة جونستون عام ١٨٨٤ ، واستطاع فى بضعة شهور قضائها فى جبل كلنجارو أن يعقد معاهدات مع كثير من زعماء الجبل ، وأرسل إلى كيرك تقريرا يذكر فيه مزايا المنطقة المرتفعة . وكان رد بريطانيا مشجعا على دعم هذا النشاط ، ومع أن معاهدات جونستون كانت الأساس الذى تكونت به شرق إفريقيا البريطانية ، إلا أن منطقة « كلنجارو » نفسها كانت فى التقسيم من نصيب ألمانيا ، وكان تكوين هذه الشركة البريطانية عام ١٨٨٦ ، وصدر مرسومها عام ١٨٨٨ .

* * *

أما ألمانيا فقد استطاعت ابتداء من عام ١٨٧٠ أن تصبح أكبر قوة عسكرية فى أوروبا ، وتقدمت الصناعة فيها تقدما كبيرا ، وعظم إنتاجها من الصناعة الثقيلة ، ونشطت تجارتها الخارجية .

وأخذت تتطلع إلى مناطق استخراج المواد الخام وأسواق الاستهلاك .

وشاهد النصف الثاني من عام ١٨٨٤ عملين خطيرين قام بهما الألمان في السياسة الإفريقية :

الأول : دعوة ألمانيا الدول المهتمة بإفريقيا إلى مؤتمر يعقد في برلين لمناقشة الشؤون الإفريقية ، وصدرت قرارات مؤتمر برلين في فبراير ١٨٨٥ ، ووافقت فيها الدول المجتمعة على أسس تقسيم القارة فيما بينها . ومن أهم الأسس التي أقرتها : أن احتلال أية دولة منها لأية مساحة في إفريقيا لا يكون فعليا إلا بعد إخطار الدول الموقعة على الاتفاقية ، وأن لكل من هذه الدول الحق في احتكار التجارة مع السكان المحليين ما دامت قد ارتبطت معهم بمعاهدة . ويمثل مؤتمر برلين فاتحة عهد من التسابق المحموم للسيطرة على القارة وشعوبها ومقدراتها وتحطيم الزعامات المحلية .

أما الثاني : فنزول دكتور « كارل بيترز » الألماني متخفيا في ميناء دار السلام ، ثم انسلاله منها إلى شرق إفريقيا . وهناك أخذ يتجول مع بعض رفاقه ليحصل على وثائق معاهدات يتنازل بها الحكام المحليون عن أرضهم للقوى الاستعمارية الجديدة . ومع أن نشاط بيترز كان في تنجانيقا الحالية ، إلا أن

صراحته التي شرح بها طريقة الاستيلاء على الأرض ، تفضح
الأسلوب الذي اتبع - مع تعديلات جزئية - في كل من كينيا
وأوغندا وكثير من أقطار إفريقيا المدارية . ويؤكد لنارد
وولف « وقليل من الكاشفين ورجال الاقتصاد الاستعماري ،
من كانوا في مثل صراحة دكتور بيتز التي شرح بها للعالم أساليب
الحصول على المعاهدات (الشرعية) التي مكنتهم من السيادة على
حكام إفريقيا » ويعقب على هذا بقوله : « ينبغي أن نلاحظ أن
كل الدول الاستعمارية في أوروبا لجأت إلى مثل هذه المعاهدات
في سلب الإفريقيين سيادتهم وأرضهم » وينقل وولف عن أحد
قناصل بريطانيا في الكونغو : « إن أية دولة أوروبية تستطيع
امتلاك أي جزء من إفريقية بالقماش والخمور . . ومنها من
استولت على مساحات كبيرة نظير بضعة أثواب مطرزة ومجموعة
من المناديل وأغطية الرأس وزجاجات الخمر » .

كان بيتز قبل وصوله إلى قرية الرئيس الإفريقي أو الحاكم ،
يرسل إليه رسولا يحمل الهدايا ويستأذن في إقامة معسكر ،
ويدعو الحاكم إلى مائدة موفورة الطعام والشراب يتبعها تقديم
الهدايا . وفي هذا الجو « الأخوي » يعرض بيتز على الحاكم
أن يوقع وثيقة صداقة مع الامبراطورية الألمانية . ويقرأ أحد

المراقبين النص الألماني الذي لا يفهمه الحاكم ، ثم يرفع العلم
الألماني وتطلق النيران تحية له ، ويلى هذا مشروب آخر ، وأحيانا
- زيادة في توثيق الصداقة - يستحم بيترز والحاكم معا !!..

واستطاع بيزرز في ثلاثة أشهر أن يحصل على أكثر من
عشر معاهدات ، تنازل فيها أصحابها عن مساحة شاسعة من شرق
إفريقيا . وفي هذه الوثائق أمور غريبة : فالحاكم فيها يتنازل لبيزرز
- ممثل الجلمية الألمانية - عن أرضه إلى الأبد ليعمل فيها ما يشاء ،
وله الحق المطلق في استغلال التربة السطحية وما تحتها ومواردها ،
وإدخال ما شاء من الأنظمة فيها ، وفرض ضرائب وإنشاء
جمارك . . . ومقابل هذا ترى التزامات غامضة : فالشركة تحترم
ملكية الحاكم لجزء خاص ، وتدفع له إيجارا في شكل ماشية
أو سلع تجارية يحدد مقدارها أو ثمنها مقدما وشفويا .

وليس من المعقول أن يتنازل حاكم نظير أكلة أو هدية
عن وطنه . والأشد من ذلك عجبا أن تدافع الدول الاستعمارية
عن شرعية هذه الوثائق ، مع أن هؤلاء الحكام الإفريقيين
كثيرا ما قامت بينهم أقسى الحروب من أجل حقوق الرعى
واستغلال أرض الزراعة ، وليس هناك من تفسير لما حدث غير
أن هؤلاء الحكام لم يعرفوا مضمون هذه الوثائق ، ويذكر

دكتور رويش في كتابه عن تاريخ شرق إفريقيا كيف أن زعيم
إفريقيا وقع معاهدة مع بيترز وأعلن على الملأ أنه لم يكن في
يوم من الأيام تابعا لسلطان « زنجبار » ، وأنه لم يسمع أبدا عن
وجوده ، مع أنه يستطيع أن يرى زنجبار بوضوح من موطنه في
ضوء النهار !!

إلى هذا الحد كان العبث بالحكام واستغلال بساطتهم .
وحمل بيترز وثائقه إلى ألمانيا في فبراير ١٨٨٥ ، ومنحته
الحكومة بعد وصوله مرسوم تأسيس « الجمعية الألمانية
للاستعمار » ، وسارعت بإعلان دول اتفاقية برلين بما حصلت
عليه الشركة من أراض وحقوق سيادة في بعض الممتلكات
التابعة لسلطنة زنجبار ، واحتجت زنجبار على ذلك وكررت
احتجاجها وحاولت التحكيم ، وكان رد ألمانيا أن هذه الأراضي
لا علاقة لها بزنجبار .

وكانت ألمانيا تدرك أن مشكلتها ليست مع زنجبار ولكن
مع لندن . . التي جاء ردها على برلين سريعا « هناك غموض
في اتساع ممتلكات زنجبار ، والحكومة البريطانية لا تمنع أن
تستعمر ألمانيا بعض هذه الأجزاء ، وهناك مشروع يقوم به
بعض المستعمرين البريطانيين بين الساحل ومنابع النيل لإنشاء

خط حديدى بينهما » واقترحت لندن تعيين الحدود بين منطقتى نفوذ الدولتين .

وكانت لندن تقصد بجماعة الاستعماريين البريطانيين جمعية شرق إفريقيا البريطانية ، التى تكونت عقب إعلان « بيترز » جمعيته الألمانية ، والتى - أى الجمعية البريطانية - تحولت فيما بعد إلى شركة شرق إفريقيا الإمبراطورية البريطانية ، وأخذت فى ضم ما تستطيع ضمه من أراضى شرق إفريقيا شمال المنطقة الألمانية - أى فى كينيا الحالية - متسترة بالدوافع الإنسانية وتمدين القارة .

وبناء على اقتراح لندن ، تكونت اللجنة المشتركة من ممثلى بريطانيا وألمانيا لتقسيم شرق إفريقيا ، وصدر تقريرها فى يونية ١٨٨٦ ، وقرر للسلطان حقوق سيادة على جزيرتى زنجبار وبمبا ، وعلى شريط ساحلى عرضه عشرة أميال بين مقديشو شمالا وإفريقيا الشرقية البرتغالية جنوبا . وتبودلت المذكرات بين الدولتين وانتهت بتوقيع معاهدة فى السنة نفسها ، اتفقا فيها على حق السلطان فى الجزيرتين والشريط الساحلى وتقسيم الأرض الداخلية إلى منطقتى نفوذ : الشمالية بريطانية والجنوبية ألمانية ، وتحت الوعد والوعيد وافق السلطان على ذلك ، وخطت بريطانيا خطوة أخرى بالحصول من السلطان

على امتيازات في المنطقة الساحلية لم ينل السلطان مقابلها في الواقع إلا مبلغا يعادل رسوم الجمارك .

والأسلوب الذي اتبعته الدولتان هنا ظاهر التعسف ، ففي بقية أجزاء إفريقيا كان للدولة التي تسيطر على الساحل أن تسيطر على ظهره - أي الأراضي الواقعة وراءه - أما في شرق إفريقيا ، فاعترفت الدولتان بسيادة السلطان على الساحل ، واقتسمتا الداخل ، ثم عادت بريطانيا لتسيطر على الساحل باسم الإيجار ، وخذعت السلطان ماليا : فقد اتفقت الدولتان - بريطانيا وألمانيا - على إعطاء السلطان ١٠٪ من صافي أرباح أية شركة تؤسس بعد دفع أرباح مساهمين تعادل ٨٪ ، وكان هذا أمرا وهميا ؛ لأن الشركات لم توزع أكثر من ٨٪ وبهذا لم يأخذ السلطان شيئا إلا قيمة الإيجار السنوي وهو ١٦٠٠٠ جنيه .

* * *

سبقت الإشارة إلى تكوين شركة شرق إفريقيا الإمبراطورية البريطانية عام ١٨٨٦ وصدور مرسوم تأسيسها عام ١٨٨٨ ، وتولت هذه الشركة حكم المنطقة الواسعة الممتدة من بحيرة على الساحل حتى بحيرة فيكتوريا - أي كينيا الحالية تقريبا ، وتولى أمر إدارتها في العامين الأولين سير جورج ماكنزي ،

وكانت مهمة الشركة أكبر من طاقتها ، فقد كان من المنتظر أن تسيطر على الظهير كله حتى البحيرات العظمى ، وهناك - حول منابع النيل الاستوائية - اصطدمت بريطانيا بفرنسا . واستطاعت بقوة الحديد والدم - تحت قيادة « لوجارد » - أن تحطم نفوذ المبشرين الفرنسيين وثورات الإفريقيين والعرب وتستولي على مقاليد الأمور في أوغندا .

وظلت الأرض بين نهر أومبا ومبسة جنوباً ، ونهر جوبا والصومال شمالاً ، تحت سيطرة الشركة حتى عام ١٨٩٤ ، وعندما تسلمت بريطانيا مقاليد الحكم في أوغندا ، ظهر واضحاً أنه لا يصح أن تستمر سيطرة الشركة على المنطقة بين أوغندا والساحل ؛ ولهذا - في السنة نفسها - ألغت الحكومة الشركة وعوضتها بمبلغ ٤٥٠ ألف جنيه ، وفي أول يولية سنة ١٨٩٥ تولى سير آرثر هاردنج حكم شرق إفريقيا البريطانية وهي كينيا الحالية .

وأخذت بريطانيا في إخضاع الساحل والظهير المشرف عليه ، وتحطيم القوى العربية التي كانت تحكم مراكزه الحيوية ، وتحت ستار إلغاء الرقيق قامت بريطانيا بسلسلة من العمليات الحربية لم تستطع القوى المحلية أن تصمد طويلاً أمامها .

واضطرب السلطان مبارك - آخر سلاطين بيت المزروعى الذى كان يحكم الساحل - إلى الفرار إلى القسم الألمانى من إفريقيا الشرقية ، وأخضعت بريطانيا القبائل الداخلية التى رأت فى الوافدين أعداء جدد .

وفى مطلع القرن العشرين ، كانت محمية شرق إفريقيا (كينيا الحالية) تشمل المديرية الشرقية فى أوغندا حتى سواحل بحيرة فيكتوريا ، وسفوح جبل إلجى والساحل الجنوبى الغربى لبحيرة رودلف ، ومن الجنوب كانت تحدها منطقة النفوذ الألمانية ، وبينهما الحد الألمانى البريطانى ، وفى الشمال دخلت بريطانيا فى مفاوضات مع أثيوبيا وصلت بها أثيوبيا إلى الركن الشمالى الشرقى من بحيرة رودلف ، ومن هذه النقطة يمتد الحد إلى نهر جوبا حتى البحر ، وكانت المساحة وقتئذ نحو ٢٠٠ ألف ميل^٢ ، ومجموع السكان قدرته بريطانيا بنحو ٤٠٠٠٠٠ ر ٤٠٠٠ نسمة .

وشاهدت حدود كينيا تعديلات بعد الحرب العالمية الأولى ، فقد ظلت « محمية » من الناحية الرسمية حتى عام ١٩٢٠ ، وحل البريطانيون فى شرق إفريقيا محل الألمان المهزومين . وكينيا الحالية قسمان : المستعمرة التى سبقت الإشارة إليها ،

والمحمية وهى النطاق الساحلى المؤجر من سلطان زنجبار ،
ولا فرق - من الناحية العملية - بين الإدارة البريطانية فيها .
وفى عام ١٩٢٤ أبرمت بريطانيا مع إيطاليا تنازلت
بمقتضاها كينيا إلى الصومال الإيطالى عن كل من نهر جوبا
وعن شريط مجاور من الأرض القاحلة .

وفى عام ١٩٢٦ نقلت - إلى كينيا - تبعية شمال شرق أوغندا
والأرض المشرفة على شمال غرب بحيرة رودلف ، وبهذا أصبحت
مساحة كينيا (المستعمرة والمحمية) ٢١٩٧٣٠ ميل^٢ وأصبح
فيها نهر ملاحى واحد : هو نهر تانا ، وهو ليس ملاحيا
فى كل أجزائه .

ويمكن الآن أن نقسم سطح كينيا إلى أربعة أقسام رئيسية
من الشرق إلى الغرب ، فهناك أولا : السهل الساحلى ، ثم الهضبة
وإقليم الأخدود بمرتفعاته البركانية التى تشرف عليه ، حيث
الخصوبة واعتدال الحرارة ووفرة المطر ، ثم إقليم هضبة
البحيرات .

وأهم الكتل الجبلية: كينيا ، وإلجُن ، وسلسلة ابردارى التى
تحد منطقة الاستيطان الأبيض من الشمال ، وهذه الجبال هامة ،
لأنها تقع فى قلب منطقة الكيكويو وهى ذات منحدرات

وعرة ، وتغطيها الأشجار وغابات البامبو ، وفيها دار صراع
مرير بين الثوار وقوات الحكومة .

ومن الناحية العمرانية يمكن أن نميز في كينيا بين قسمين
أساسيين : المرتفعات الداخلية حيث تتركز الحياة الآن ، وبقية
كينيا بما فيها الصحراء الشمالية والسهل الساحلي والمضبة ، ولكل
منهما مشكلاته التي صرفت الأوربيين عن استيطانه .

وسكان كينيا الآن نحو ٦ر٤ مليون . وحوالي ثلاثة أرباعهم
يعيشون حيث يزيد المطر عن ٧٥ سم في العام ؛ ولذا نجد أن
ثلاثة أرباع كينيا تكون ما يسمى بمديرية الحدود الشمالية ،
وبها أو على الأصح في بعض أجزائها حياة رعوية متنقلة .
أما الربع المنتج فهو المرتفعات حيث تتوفر ظروف الاستقرار ..
وإلى هذه المنطقة اتجهت أنظار المستعمرين واتخذوا منها وطننا
أطلقوا عليه اسم « المرتفعات البيضاء » .



المرتفعات البيضاء

المرتفعات البيضاء وطن جديد من أوطان
المستعمرين في إفريقيا!! وطن لم يكن خاليا من
سكانه ولا أرضا مباحة ، ولكنه كان معمورا يزرع الأهالي
أرضه ، ويرعون مراعيه ، ويستغلون قاباته .

وللاستعمار في شرق إفريقيا ووسطها وجنوبها طابع خاص
هو « الاستيطان » ، ذلك لأن ارتفاع الأرض واعتدال الحرارة
وتوفر المطر ، جعل من المرتفعات منطقة تفرى المستعمرين
بالاستقرار ، وحاول هؤلاء أن يتخذوا منها « محورا أبيض ترتقى
حوله القارة السوداء » .

ويختلف هذا الوضع عما نجد في غرب إفريقيا مثلا باستثناء
أجزاء محدودة ، فهناك ترتفع الحرارة وتشتد الرطوبة ويقل
الفرق بين فصول السنة فيصبح المناخ مرهقا غير صالح للاستيطان
الأوربي . ويتخذ الاستعمار صورة أخرى هي « الاستغلال
الاقتصادي » معتمدا على الجهد اليدوي المحلي في استنزاف ثروات
الإقليم ، مكثفيا بأعداد قليلة من الإداريين وقوات عسكرية

تكفى لحفظ النظام وفرض السلطان . ويبقى المجتمع في صيغته العامة « إفريقيا » ، تنحصر أهداف الاستعمار في الحصول على خيراته .

فالفروق المناخية وانعكاساتها على الأسلوب الاستعماري ، لها أعمق الأثر على طبيعة العلاقة بين الإفريقيين والمستعمرين ، ومع أن الاستعمار شر كله ، إلا أنه أشد ضراوة وقسوة عندما يكون استيطانا تحيا به جالية غربية في المحيط الإفريقي ، فهي تحاول أن تزيد من عددها وتترزع الأرض من أهلها ، وتطبق سياسة من التفرقة العنصرية ، وتعيد بناء المجتمع على أساس لوني صارم ، تستهلك فيه طاقة الإفريقيين في العمل البدني في الحقل والمنجم والمصنع ، ولا تعطى لهم من فرص التقدم والتطور إلا بعض ما تحتّمه مصالح الاستعمار نفسه ، فيأتي الترقى الإفريقي ، المحدود المدى ، القصير الخطوات ، رغم أنف المستعمر ، وتحاول القوى الإفريقية أن تتجمع رغم الضغوط ، وأن تحافظ على كيائها ما استطاعت ، وأن يشكون منها تيار من الوعي . ولا يلبث هذا التيار أن يصطدم مع مصالح الاستعمار . وتتحدد بذلك جهة جديدة من جهات الصراع بين الإفريقيين والمستعمرين . ويزداد تعقد المشكلة حين يكون لها أكثر من طرفين :

فشرق إفريقيا وجنوبها يواجهان آسيا الموحدة بملايين سكانها ،
ومن قديم اتصلت الأسباب بين الإقليمين ، ومع مجيء الاستعمار
وحاجته إلى اليد العاملة الرخيصة الماهرة ، بدأ في استيراد
الآسيويين للعمل أولا في مد الخط الحديدي من الساحل إلى
منابع النيل الاستوائية ، وأخذت أعدادهم في الزيادة إلى أكثر
مما رسم المستعمر . واستقر الآسيويون وتكاثروا وتداعوا ،
إلى شرق إفريقيا ، يراهم الأوريون دونهم ، ويرون أنفسهم
فوق الإفريقيين ، وأصبح مجتمع كينيا كعلامة المرور بألوانها
الثلاثة ، لكل منها دلالة مميزة : الأوريون في القمة
والآسيويون في الوسط ومعظم الإفريقيين - أصحاب الحق الأول
- في ذيل القائمة ، ومع حدوث بعض التطور الذي أدى إلى
بعض التداخل الطبقي في المحيط الاقتصادي والسياسي إلا أن
الصورة العامة ظلت موسومة بالتفرقة العنصرية ، والتركيب
الثلاثي ، وهي صورة تختلف عما نجد في غرب القارة ،
ولنحاول الآن أن نرى كيف ظهرت المشكلة وتعمدت ثم التبت.

* * *

أصبحت كينيا في مطلع القرن العشرين من نصيب بريطانيا ،
فما الذي رآه الأوريون فيها عندما دخلوها ؟

هنا نجد أنفسنا على مفرق طرق ، فالكتاب الاستعماريون
لهم وجهة نظر معينة ، والإفريقيون والمثقفون من الأوربيين
لهم وجهة أخرى .

فالمستعمرون يحاولون أن يبرهنوا على أن الإقليم - بعامة -
كان في درك خفيض من البؤس والاضطراب والفوضى ، وأنه
كان في « جاهلية » عمياء لم يخرج من ظلماتها إلا بمجيء
« الأنبياء » الأوربيين الجدد ، فبدلوا الناس من بعد خوفهم
أمناء ، ومن المجاعات ازدهارا ورحمة .

وكان السكان يحترفون الزراعة المتنقلة والرعي ، وفي ظل هذا
النظام ، كان الإفريقي يزرع أرضه فإذا أجهدتها تركها إلى
قطعة أخرى ، ثم عاد إليها بعد أن تستعيد قوتها ، أما الراعي
فيحتاج إلى مساحة واسعة من الأرض يسرح فيها بماشيته ،
ولا يكاد يستقر في مكان واحد وإن كان يتجول بين أماكن
معروفة ، تكاد تكون ثابتة ، ولم تكن عند هؤلاء وسائل
طبية يقاومون بها الأوبئة البشرية والحيوانية ، واقتضى تنازع البقاء
أن تقوم حروب بين القبائل .

والتقط الأوربيون هذين الخيطين : نمط الحرفة ومستوى
الحياة ، ونسجوا منهما القصة التي حاولوا بها تبرير استثمارهم كينيا .

أما الخيط الأول - الحرقه - فذكر وافيهِ أن الإفريقيين لم يعرفوا نظام الملكية الخاصة في الزراعة أو الرعى . فالملكية كانت مشاعة . كانت الأرض ملك القبيلة ، وعلاقة الإفريقي بها علاقة انتفاع فقط .

والخيط الثاني - المستوى - فذكر وافيهِ كيف أن الإفريقيين كانوا وقود الحروب الداخلية التي تشتعل ناراها بين القبائل ، وكانوا ضحايا الأوبئة والمجاعات ، وأن هذا كله هبط بعدد السكان فقدروهم « هاردنج » - قنصل بريطانيا العام في زنجبار عام ١٨٧٢ - بنحو ٢ ¼ مليون نسمة . وارتفع التقدير إلى أربعة ملايين في أوائل القرن العشرين بعد ضم أجزاء من أوغندة ، وظل هذا التقدير يكتب في التقارير الرسمية إلى أوائل الحرب العالمية الثانية ، وإن كانت تقارير بعض الهيئات تهبط به إلى نحو ٢ ر ٤ مليون نسمة ، وعادت التقديرات إلى الارتفاع بعد ضم إقليم تركانا من أوغندة إلى كينيا عام ١٩٢٤ وزادت السكان نحو الثلث ، والزيادة - بهذا - لا ترجع إلى تحسن في وسائل المعيشة أو ازدهار في الحياة .

ويذكر الدكتور كوتشنسكي (١٩٤٨) في دراسته التفصيلية للسكان في شرق إفريقيا ، أن أسس التقدير هنا غير دقيقة

ولا تسمح بالانتهاء إلى نتيجة يمكن الاطمئنان إليها في ذكر
القدر الحقيقي الذي ارتفع إليه السكان بعد عام ١٩٣٠ .

ويعتقد دكتور نورمان ليز (١٩٢٩) في كتابه عن كينيا
بوجود انخفاض تدريجي في عدد الإفريقيين في كينيا في الربع
الأول من هذا القرن ، وأن هذا الانخفاض قد يصل إلى نسبة
الثلث من المجموع السكاني الأصلي للسكان .

أما فيما يتعلق بمشكلة الأرض - وهي المشكلة الجوهرية
ومحور الصراع في كينيا - فالإفريقيون يرددون الأقاويل
الاستعمارية الخاصة بمشكلة الحياة وطبيعتها ؛ فللأرض عند
الإفريقيين منزلة تصل إلى مرتبة القداسة ، ويؤكد علماء
الانثروبولوجيا هذه المنزلة . ويوضحون الرباط الروحي الذي
يربط الإفريقي بأرضه : فالإفريقي تأوى أرواح أجداده ، وهي
تقوم - كما يؤمن - بدور إيجابي في حياته اليومية . وزعماء
القبيلة يستمدون سلطانهم في الواقع من دفاعهم عنها وقت
الحرب ، وحل مشكلاتها وقت السلم . ولا زالت الأرض المورد
الرئيسي لحياة الإفريقي . وبدونها ، يجد نفسه مضطرا إلى
الالتحاق بمجموع العمال المهاجرين ، ويحس بالضيق ، ويتعد

عن موطنه وقبيلته وأرض أجداده في رحلة تطول وتقصّر ،
ويمحيا في ظل أوضاع اجتماعية جديدة ظالمة .

ويذكر كنياتا (١٩٥٣) أن الكيكويو - أكبر قبائل
كينيا - يعتقدون أن الأرض أم القبيلة . وإذا كانت الأم تحمل
جنينها تسعة أشهر ثم ترضعه فترة أخرى ، فإن الأرض تطعمه
طول حياته ، وفي جوفها يرقد بعد مماته ، وهي التي ترعى
أرواح الموتى إلى الأبد . فللأرض القداسة الكبرى عند الذين
يمشون في مناكبها أو يرقدون في جوفها . والحلف بالأرض
(كيورجو) أعظم ما يقسم به الفرد من الكيكويو .

لهذا نجد نظام حيازة الأرض دقيقا غاية الدقة عند القبائل
الزراعية في كينيا . ويعرض كنياتا أنواعا متعددة من معظم
الحيازة عند الكيكويو : فالجيتاكا هو مالك الأرض الذي
يحصل عليها بالشراء أو الوراثة أو حقوق العين . والموراماتي
هو الوصي الذي يرعى الأرض للصغار حتى يبلغوا أشدهم .
والموهوي من له حقوق زراعة في أرض أحد الجيتاكا .. الخ ...
ويبدو من تعدد هذه الأنظمة مدى تعقد نظم الحيازة .
ولا ينشأ التفصيل والتعقيد إلا عند التزاحم على الأرض
وارتفاع منزلتها .

وإلى جانب هذه الأنظمة الفردية كانوا يطلقون « يوروري
وا كيكويو » على « كل أرضهم » ومعناه أن هذه الأرض
ملك الكيكويو وحدهم ، ويعقب كنياتا على هذا بقوله :
« وليس هناك شك في أن الأوربيين أساءوا فهم هذا الاصطلاح
الآخر ، أي ملكية القبيلة لأرضها بعامة » .

إلى جانب هذه النظم الدقيقة من الملكية الخاصة في مرتعات
كينيا وإحساس القبيلة بوحدتها وحدود أرضها ، ودفاع كل
فرد عن أرضه ، ودفاع القبيلة عن وطنها نجد نظماً أخرى أقل
دقة ، فيها سمات الملك القبلي المشاع عند الرعاة ، ثم تبدو نظم من
الملك الخاص على الشريط الساحلي الذي يسيطر عليه النفوذ
العربي الإسلامي .

ولا نود في هذه المرحلة من عرض القضية أن ندخل في تيه
من الأبحاث القانونية عن حيازة الأرض ، وإنما نكتفي بتسجيل
كلمة لورد هيلي (١٩٥٧) :

« إن الحكومات قد بسطت نفوذها على الأرض وامتلكتها
بوسائل متعددة : ففي بعض الأحيان أخذتها بحق الفتح ،
وفي بعض الأحيان تم هذا عن طريق معاهدات مع رؤساء
القبائل ، اعتبرت كأنها تسلم الأرض للمستعمرين . وأحياناً

كان يتم الاستيلاء عن طريق تفسير النصوص من وجهة النظر الأوربية بصرف النظر عن فهم الإفريقيين إياها عند توقيع الاتفاق ، وفي الواقع كان العامل الجوهرى الذى يقرر انتقال ملكية الأرض إلى المستعمرين هو مدى ملاءمتها للاستعمار ، لا الأسس والحجج القانونية ، هذه الملاءمة تفسرها ظروف المناخ والتربة ، وهى التى وجهت تيار الهجرة الاقتصادية إلى جنوب وشرق القارة أكثر من اتجاهه نحو الغرب .

* * *

فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، أدرك البريطانيون صلاحية مرتفعات كينيا للاستيطان ، وسجل روادهم الآمال العريضة التى داعبت خيالهم فى الفردوس الجديد . ويذكر « سير هارى جونسون » فى كتابه : استعمار إفريقيا (١٩١٣) « ... ودون إجحاف بحق الأهالى ليس هناك ما يحول دون تخصيص نحو ٣٠ ألف ميل مربع من شرق إفريقيا لاستيطان البيض ، وستكون فى هذه الأرض - بمرور الوقت - جالية عاملة قوية من ثلاثة أو أربعة ملايين ، قد تبرهن على أنها عامل فعال فى سياسة إفريقيا الاستوائية » ورأى أن يحتفظ البيض بالمرتفعات، وأن يحيا الآسيويون فى الأرض القريبة من الشاطئ

وفي الأجزاء الشمالية حيث الحرارة أشد ، والجو لا يلائم
الاستيطان الأوربي .

ومن قبل هذا أكد «لوجارد» (١٨٩٣) إمكان إنشاء وطن
أوربي في مرتفعات شرق إفريقيا، ويذكر «سير تشارلس اليوت»
الحاكم العام لكينيا (١٩٠٥) « أن داخلية المستعمرة هي أرض
الرجل الأبيض ، وينبغي أن تكون مصلحة الرجل الأبيض هي
العليا ، إن هدفنا الرئيسي وتشريعاتنا ينبغي أن تتجه إلى خلق
مستعمرة بيضاء . »

ويعطينا دكتور «نورمان ليز» (١٩٢٩) صورة نابضة بالحياة
عن الاستيلاء على الأرض وانزاعها من الإفريقيين :
« فالفكرة عند حكومة المستعمرة في مطلع القرن العشرين
هي أن الأرض لا يمكن الاستفادة منها على أساس اقتصادي
إلا بتوطين أوروبيين معهم رؤوس أموال ، وهؤلاء لا يمكن أن
يقبلوا على كينيا أو يستقروا فيها إلا إذا أعطيت لهم مساحات
كبيرة من الأرض بشروط سخية ، على أن تكون الحكومة
قادرة على « إقناع » الإفريقيين ، بالعمل في مزارع الأوربيين .
وأنشأت الحكومة خط سكة حديد أوغنده ، وفتحت بهذا
الطريق أمام الاستيطان الجديد، وانتظم تيار مستمر من الهجرة
الأوربية ، وجاء أفراد مختلفون في درجة الغنى من بريطانيا

وجنوب إفريقيا ، وأخذوا يتنقلون بين أجزاء كينيا ويحددون
البقاع المناسبة التي يرغبون في الاستيلاء عليها ، ثم تبدأ مفاوضاتهم
مع الحكومة لإتمام ذلك ، وأهدر المستوطنون حقوق الأهالي
ويسرت لهم الحكومة أمر الاستيطان وسرعان ما سيطروا
على جهاز الحكم ، وتسربت الأرض في سرعة إلى أيديهم .

ويعقب دكتور « ايز » على هذا بقوله : « بأي حق تقوم
حكومة أوربية لما حقوق وعليها واجبات حيال المواطنين ،
بإدعاء ملكية الأرض ، ثم تتصرف فيها بعد هذا بأثمان تافهة
للأصدقاء والمستوطنين البريطانيين ؟ ليست هناك تجربة مماثلة
لما حدث في كينيا نجدها في تاريخ الاستعمار البريطاني والنفوذ
الإمبريالي . . ففي أمريكا وأستراليا استولى الأوربيون على
الأرض ولكن كان منهم من يقوم بالعمل الزراعي ، أما في
شرق إفريقيا فكان المستعمرون ينتظرون من الأهالي أن
يقوموا بكل العمل الزراعي ، بينما يكتفي المستعمرون
إما بالإشراف أو بمتابعة حياتهم في بريطانيا نفسها . . وكانت
أمريكا وأستراليا أراضٍ خالية إلى حد كبير ، بينما كانت الأرض
الزراعية في إفريقيا في مطلع القرن العشرين أكتف كثيرا من
نظائرها وقتئذ في أستراليا . »

ويذكر «سير تشارلس دندس» (١٩٥٥) في كتابه «إفريقيا على مفترق الطرق» : «إن عددا غير قليل من الأوربيين جاء إلى كينيا وأقصى همه أن يتمتع بحياة يتحرر فيها من قيود حياته الأولى ، ولم يكن من الغريب أن يسير المستوطن من هؤلاء في ثياب قد تدعوك إلى الشك في عقله ، وأصبح هذا مميزا لكينيا ، ولصقت بها سمعة من الصعب محوها .

وسير «دندس» من رجال النسل السياسي البريطاني وعمل في شرق إفريقيا في مطلع القرن العشرين ، ويذكر في كتابه قصصا غريبة عن معاملة المستعمرين الإفريقيين : فهناك بريطاني من أسرة عريقة مزق جسم خادمه الإفريقي بالرصاص ، وكان تبريره من نوع لا يمكن أن يسمع في خارج كينيا :

«إن الشقي الأسود قدم إلى قشدة رديئة مع الكمك» .
ومن الممكن أن يجد الباحث في وثائق كينيا الكثير من هذه الغرائب ، ويحاول «دندس» أن يرد ذلك إلى أسباب مناخية «فالمعيشة في هذا المنسوب المرتفع بعيدا عن سطح البحر تؤدي إلى اضطرابات عصبية !! ...»

وأورد دكتور «نورمان ليز» قصصا مؤلمة عن معاملة الأوربيين للإفريقيين في كينيا . وعقد في كتابه عن كينيا فصلا بعنوان

« أبيض وأسود » ذكر فيه نماذج من هذا الطغيان ، منها قصة بريطاني ظل يضرب بالسوط إفريقيًا يعمل عنده حتى فقد وعيه ثم مات بعد قليل ؛ وكان السبب أن البريطاني كلفه بأن يصحب فرسا إلى محطة السكة الحديد وهي مسافة تقرب من ثلاثين كيلومترا . فركب الإفريقي الفرس دون إذن !! .. ويعقب دكتور ليز على هذا بقوله : « حدثت هذه الجريمة من بريطاني على درجة عالية من الثقافة ، سيق لهذا العامل الإفريقي أن فر من قسوته ، ثم أعيد إليه - بقوة القانون - ليقتله بعد هذا » . والأيذاء الأول - سبب الفرار - لم يثر له أحد ولم يعاقب عليه القانون ، بينما نجد العمال الإفريقيين إذا حاولوا الهرب من النسادة الظالمين تعقبهم رجال البوليس ككلاب الصيد ، ووقعوا عليهم أشد العقوبات ، وساقوهم إلى السادة لإكمال مدة العقود التي تفرض عليهم العمل في المزارع البيضاء . ولا يحاول دكتور ليز أن يلمس المبررات المناخية كما فعل سير تشارلس داندس ، وإنما يقابل المشكلة في صراحة ويتساءل : « لماذا لا تقع هذه الحوادث من البريطانيين في إنجلترا ؟ » . ويخيب بقوله : « إن الأوربيين في كينيا يعيشون في ظروف تدفع الجريمة إلى أذهانهم ، فالجريمة لا يمكن تجنبها حيث يُعطى بعض

الأفراد القوة والسيادة السياسية على شعب محكوم يستخدمون
أفراده كعمال . . . إن هذه الجريمة غريبة عن أى عقل لا يحمل
معنى السيادة العنصرية ، وقد يقول قائل : إن مثل هذه الحوادث
قليلة وفردية ؛ ولكنها بالنسبة إلى عدد الأوربيين ليست قليلة .
إن قتل الأوربي بيد أفريقي نادر في كينيا ويعاقب بكل شدة ،
ودوائر القضاء تفرض أشد العقوبات على المخالفات الصغيرة
نسبياً حين يرتكبها إفريقي » .

* * *

أخذ عدد المستوطنين في الزيادة المطردة من مطلع القرن
العشرين ، كانوا وقتئذ نحو ٦٠٠ متناثرين في كينيا ، وفي عام
١٩٠٢ كان هناك مشروع يرمى إلى منح جزء من أرض
المرتفعات لتكونوطنا لليهود المطرودين من روسيا ورومانيا
وغاليسيا ، ولكن اليهود كما يقول سير هاري جوانستون
« رفضوا هذا العرض بغباء » ومن ناحية أخرى لقي معارضة
من الجالية الأوربية رغم قلة عددها ، وما كادت تنتهي حرب
جنوب إفريقيا حتى كان المستوطنون البوير وعددهم يتراوح
بين ٦٠٠ و ٧٠٠ يقبلون على مرتفعات كينيا ومعهم زوجاتهم
وأسرهم . وعلى هذا يمكن اعتبار عام ١٩٠٣ بدء الاستعمار

الأبيض المنظم لمرتفعات كينيا . واخذت جموع المغامرین والمهاجرين تفد من بريطانيا وجنوب إفريقيا ، وتخطى عدد المستوطنين الألفين عام ١٩١٠ ، وارتفع الى ما يقرب من سبعة آلاف عام ١٩٢٠ . ويبدو أن هذه الأرقام كانت أقل من الحقيقة ، فعندما أجرى إحصاء إبريل ١٩٢١ ظهر أن عدد الأوربيين يقرب من عشرة آلاف ، وقفز الى سبعة عشر ألفا عام ١٩٣٠ بعد دذبات سببها عوامل اقتصادية . وأخذ العدد في الزيادة حتى وصل في الوقت الحاضر الى نحو ٦٤ر٠٠٠ مستوطن ، منهم نحو ٤ر٠٠٠ يعملون في الزراعة . ومع الهجرة الأوربية حدثت الهجرة الآسيوية الى كينيا ووصل عددهم الى نحو ٢١ر٠٠٠ في عام ١٩١٠ ، وقاربوا ٣٠ر٠٠٠ عام ١٩٢٠ ، وقفز الرقم في تعداد ١٩٣١ الى نحو ٥٦ر٠٠٠ ، وتوالت الزيادة حتى أصبحوا في الوقت الحاضر نحو ١٥٠ر٠٠٠ ويقومون بدور كبير في التجارة والنشاط الاقتصادي .

* * *

ومن المنتظر إذاً أن نجد زيادة في المساحة التي استولى عليها الأوربيون وظلت هذه الزيادة حتى وصل مجموع المساحة الى ١٦ ألف ميل^٢ يسعد بها الأوربيون ، بينما يتكبد الملايين

الإفريقيين في نحو ٥٠ ألف ميل^٢ هي التي خصصتها الحكومة لهم ، وحدود هذه المواطن موقعة على خرائط . فكيف يعيش الإفريقي بعد أن انتزع منه المستوطنون أرضه ؟ . . ليس أمامه إلا طريقان : الحياة في المعازل أو العمل في أرض البيض .

ونظام المعازل هذا ابتدعه العقل الأوربي وخصص به موطننا أو مجموعة من المواطن لكل قبيلة ، فالكيكويو مثلا لهم أربعة معازل يطل عليها جبل كينيا ، وتشبه قوسا يواجه الجبل وكذلك قبيلة الناندي لها معازلها الخاصة والكافرندو والميرو والليو ... الخ .

وأدى اغتصاب الأرض إلى تكديس الإفريقيين في هذه المعازل ، فارتفعت فيها كثافة السكان إلى درجة خطيرة ، فمعازل الكيكويو والكافرندو - مع أنها لا تكون إلا ٤٪ من مجموع المساحة الكلية لكينيا - يتكدس فيها نحو نصف المجموع السكاني للسكان ، واشتد إرهاب الإفريقيين للتربة واستنزافهم خصوصيتها وانحدر مستوى المعيشة والصحة فيها وفتكت أمراض سوء التغذية بالأطفال ، وبلغت الكثافة في بعض المعازل نحو ٤٠٠ نسمة في الميل المربع ، وارتفعت إلى أكثر من ألف في بعض الأجزاء ، وأصبح من المستحيل أن تستجيب لحاجات السكان المتزايدة .

واشتد ضغط الحكومة فلم تكتف بذلك وإنما فرضت على الإفريقيين ضرائب باهظة واضطرتهم إلى التماس الوسيلة للحصول على المال ، ولم يجد السكان - وبخاصة الكيكويو - إلا أن يهاجروا تحت ضغط الحياة في المعازل وقسوة الضرائب ليعملوا في الأراضى التى سيطر عليها المستوطنون وأصبح يطلق عليهم فيها اسم واضعى اليد أو المهاجرين . كما عمل نفر كبير منهم فى نيروبي ، واصطلاح « واضعى اليد » يعنى احتلال قطعة من الأرض دون حق ثابت. واستفاد المستوطنون من هذه الهجرة التى مهدوا لها ودفموا الحكومة إلى تنظيمها ، وعمل الإفريقيون أجراء فى الأرض التى سبق أن انتزعت منهم ، ولم يكن من المستطاع زراعة هذه المرتفعات دون الاستعانة باليد العاملة الإفريقية ، وكان المستوطن ينحصر للافريقى قطعة أرض صغيرة تسمى « شمبي » ويعطيه أجرا لا يزيد فى الغالب عن ٣٠ شلنا فى الشهر وأحياناً لا يعطيه أى أجر غير التصريح بالزراعة . وفى أوائل ثورة ماو ماو ١٩٥٢ كان من الكيكويو نحو ٧٥ ألفا فى المعازل ونحو ١ مليون من واضعى اليد فى المرتفعات ونحو ٧٥ ألفا فى نيروبي .

والعمال الإفريقيون فى المرتفعات يعملون بعقود ولا بد أن

يكون مع كل منهم تصريح مرور أو كما يسمونه هناك « كيباندي » .
وطريقة الكيباندي هذه سبق أن اتبعتها حكومة جنوب
إفريقيا وروديسيا . وعلى العامل الإفريقي - بمقتضاها - أن يستخرج
« كيباندي » من ثلاث صور عليها بصمات أصابعه العشر
والمكان الذي يعمل فيه ومدة العمل . ويحمل العامل صورة
منها في حافظة معدنية ، ويترتب على فقدانها عودة العامل فوراً إلى
المعزل ، وتحفظ الصورة الثانية في إدارة تحقيق الشخصية
في نيروبي والثالثة عند مفتش المركز ، وعلى الإفريقي أن يظهر
هذه الكيباندي عندما يتقدم لأي عمل ، ومن الممكن بسهولة
العثور عليه إذا فر من عمله . ومن ناحية أخرى يحرم على أي
إفريقي مغادرة المعزل إذا لم يحمل كيباندي . ولقد قاوم الإفريقيون
هذا النظام وثاروا ضده واعتبروا الكيباندي « شارة العبودية » .



كينيا

أرض اللجان الملكية

حادثة بريطانيا من بدء استعمارها كينيا تحويل مشكلة الأرض فيها إلى قضية أسلحتها الأوراق ، وميدانها قاعات التحقيق ، وأطرافها أعضاء اللجان والإفريقيون ، ونتائجها مزيد من الوثائق والقرارات ، أما جوهر المشكلة فقد ظل كما هو : أرضا انتزعتها أيدي المستوطنين الغرباء من أصحابها الإفريقيين وألجأتهم إلى الحياة الضيقة في المعازل والمدن ، أو العمل بأجور تافهة في المزارع البيضاء ، وإحساسا متزايدا بالظلم ما لبث أن انفجر ، فانتحى أعضاء اللجان بأوراقهم ، وبرز في الميدان قادة وجنود ، ودبابات وطائرات ، ورصاص وسجون ومعتقلات ودماء لا زالت تسيل من جراح كينيا .

وتاريخ كينيا حافل بلجان البحث والتحقيق التي أوفدتها الحكومة البريطانية لدراسة أحوالها وتقديم المقترحات بشأنها حتى أصبحت كينيا تدعى « أرض اللجان الملكية » .

ومن الناحية القانونية ترجع المشكلة إلى أيام شركة شرق

إفريقيا ، وكانت هذه الشركة تمت نفوذها على أساس « منحة » استطاعت الحصول عليها عام ١٨٨٧ من سلطان زنجبار ، واستطاع المستوطنون حيازة الأرض إما بالشراء بأثمان زهيدة من الرؤساء دون إذن قبائلهم أو من الشركة ، وظل هذا قائما حتى إعلان الحماية واستيلاء الحكومة البريطانية على المحمية عام ١٨٩٥ .

وقد سبق ذلك مناقشات عديدة في بريطانيا حول طبيعة الحقوق التي يستطيع التاج أن يدعيها على الأرض التي تدخل تحت الحماية ، وفي عام ١٨٩٩ أخذت الحكومة بوجهة نظر مستشاريها القانونيين وتقضى بأن إعلان الحماية يمكن التاج من إعلان السيادة على الأرض مع الاعتراف بالحقوق الفردية القائمة وقتئذ . وبعبارة أخرى أعطت الحكومة نفسها الحق في وضع يدها على الأرض غير المشغولة ، وساهم الرحالة في إظهار اتساع الأرض التي اجتازوها في رحلاتهم .

وسار الاستيلاء على الأرض في عدة مراحل :

ففي عام ١٨٩٧ وضعت الحكومة تنظيمات تقضى بالترخيص بشغل الأرض مدة أقصاها ٢١ عاما ، ونصت على عدم التصريح باستغلال أى أرض يزرعها أو يستخدمها المواطنون بانتظام استخداما فرديا أو قريبا .

على أن هذه الرعاية لحقوق الأهالى لم تتحقق عمليا ،
ونشطت الحكومة - مستندة إلى الفتوى القانونية التى سبقت
الإشارة إليها - فى تشجيع الاستيطان ، واشتد إحساس الأهالى
بالخطر عندما بدأت الحكومة فى مد الخط الحديدى من ممبسة
إلى بحيرة فكتوريا ، وكان هذا الخط هو الشريان الذى يغذى
عملية الاستيطان ، ومر إنشاء الخط فى مراحل مرهقة حتى
أطلق عليه اسم الخط المجنون . فالأهالى أحسوا خطورته
وقاوموا إنشاءه ما وسعتهم المقاومة . كانوا يهاجمون مواقع
العمال ، ويستولون على حديد القضبان ، وقواعدها الخشبية ،
واستعانت الحكومة بالهنود على هذا الأمر وجلبت منهم ٣٢ ألف
عامل كانوا نواة الجالية الآسيوية فى كينيا .

كان على هذا الخط أن يمتد من ممبسة مخترقا صحارى وأحراشا
وغابات مجهولة ، وكان عليه بعدها أن يصعد الهضبة والمرتفعات
الخصبة ، ثم ينحدر إلى قاع الأخدود ويعود بعد هذا إلى
الارتفاع مرة أخرى ليصعد حافة الأخدود الغربية البركانية
ثم يتدرج إلى الشاطئ الشرقى لبحيرة فكتوريا .

وحدثت وفيات كثيرة بلغت الآلاف بين العمال الآسيويين ،
وانتشرت بينهم الأوبئة ، كما هاجتهم الأسود فى منطقة تسافو ،

ولم يستطع الخط أن يتقدم إلا نحو ثلاثمائة كيلومتر في عامين ،
واستنفذ قدرا ضخما من اعتماداته المالية ، ثم استطاع عام ١٨٩٩
أن يصل إلى موقع نيروبي الحالية ، ولم يصل إلى شواطئ
بحيرة فكتوريا إلا عام ١٩٢٦ .

وأخذ هذا الشريان يحمل كل عام دماء أوربية جديدة إلى
كينيا ، ويقذفها فوق المرتفعات فيتراجع الإفريقيون أمام
خطرها ، واستندت الحكومة في عملها هذا إلى ثلاث حجج :
الأولى : إن المرتفعات - كما قالت - كانت خالية تقريبا من
السكان نتيجة الأوبئة والمجاعات .

الثانية : إنه لا بد من عملية إسكان على جانبي الخط الحديدي
لحمايته من غارات القبائل .

الثالثة : إن الآسيويين بدءوا يهاجرون إلى كينيا بعد أن
سأهموا في إنشاء الخط الحديدي فأرادت بريطانيا أن تجعل
المرتفعات بيضاء أوربية ، وألا تسمح بها للآسيويين أو تركها
للإفريقيين .

وفي عام ١٩٠١ أصدرت الحكومة قانونا جديدا دفعت به
الاستيطان خطوة إلى الأمام ، فأعلنت أن كل أرض يراد
استعمارها ينبغي أن تدخل في أملاك التاج . واعتبرت كل أرض

عامة من أراضي التاج ، والنصوص المستخدمة كانت غامضة ،
وليس من المعقول أن يحدث هذا مصادفة. وعن طريق استخدام
هذا الاصطلاح المطاط : « الأرض العامة » امتد الاستيطان إلى
أراض جديدة .

وجاء قانون ١٩٠٢ ليعطي المسؤولين المحليين سلطة
توزيع أراض مساحة القطعة منها لا تزيد عن ألف فدان ،
وأن يكون التأجير لمدة ٩٩ عاما . وكعادة الحكومة البريطانية ،
ضمنت القانون نصوصا تقوم مقام مواد التخدير قبل إجراء
العمليات الجراحية ، فالحكومة « سوف تأخذ في اعتبارها
حقوق وحاجات الأهالي ، وسوف لا يقوم المفتش ببيع
أو تأجير أى أرض يشغلها الأهالي فعلا » ، وأعلنت الحكومة
أن إيجار الفدان بنس في العام أو ما يعادل أربعة مليات بأسعار
ما قبل الحرب العالمية الأولى .

وفي خلال العامين التاليين انتقلت ملكية ٢٢٠ ألف فدان
من أرض المرتفعات إلى أيدي ٣٤٢ من الأوربيين ، كما أعطت
الحكومة إقطاعيات شاسعة لأفراد وهيئات : فلورد ديلاير
- رأس المستوطنين الأوربيين - استولى على ١٠٠ ألف فدان ،
واشترك لورد سكوت وايرل بليمث في امتلاك ٣٥٠ ألف فدان ،

واستولى دوق ابركورن على ٣٠ ألف فدان وسنديكات شرق إفريقيا ٣٢٠ ألف فدان ، وامتيازات غابات جروجان ٢٠٠ ألف فدان ، ومزارع دوا ٢٠ ألف فدان ، وشركة مزارع شرق إفريقيا ٣٥٠ ألف فدان .

وكونت حكومة كينيا لجنة لإعادة النظر في قانون ١٩٠٢ عندما اشتد هجوم المستوطنين عليه ورأوا فيه قيوداً كثيرة على التصرف في الأرض وتجميعها والمضاربة بها . وكانت هذه اللجنة برئاسة ديلا مير الذي ظل يقود حركة الاستيطان حتى وفاته عام ١٩٣١ . واقترحت اللجنة إلغاء هذه القيود التي تحول دون تجميع الأراضي في أيدي المضاربين والمحتكرين ، ولكن الحكومة البريطانية عارضت هذا الاتجاه .

وأخذت حكومة كينيا عام ١٩٠٤ بضرورة إقامة المعازل للأهالي قبل التوسع الأوربي في أرض جديدة ، ولكن الحدود المقترحة لم تراعى في التنفيذ ، ويصرح لورد هيلي (١٩٥٧) : « في بعض الظروف كانت الأرض المخصصة للإفريقيين تعطى عملياً للأوروبيين ، وتعرضت سياسة الحكومة للهجوم من المستوطنين والإفريقيين » .

ولجأ المستوطنون إلى وسائل ملتوية يستولون بها على

الأرض ، غير المضاربة والتأجير والشراء . كان المستوطن من هؤلاء يستأجر أراض واسعة بأسماء أقاربه الذين يعيشون في إنجلترا ، وإذا كانت الحكومة حددت ألف فدان في قانون ١٩٠٢ كأكبر مساحة يمكن أن يستأجرها فرد ، فالواقع كان بعيداً عن هذا كل البعد . . . وحاولت الحكومة البريطانية عام ١٩٠٨ « مقاومة » هذه الأساليب ولكن المستوطنين قاوموها وخضعت لما يريدون .

وظل ضغط المستوطنين يزداد ، ويزداد معه خضوع الحكومة حتى صدر قانون ١٩١٥ . وبمقتضى هذا القانون كان للحكومة أن تصرح بتأجير قطع من الأرض مساحة الواحدة منها خمسة آلاف فدان لمدة ٩٩٩ عاماً ، وأقرت أيضاً إمكان مراجعة التصاريح التي صدرت عام ١٩٠٢ على الأساس الجديد ، هذا التصريح هو في حقيقته « ملك حر » ، إلا أن الحكومة تأخذ إيجاراً سنوياً يخضع لتعديلات ضئيلة كل ثلاثين سنة ، والإيجار ٢٠ سنتاً في العام^(١) ، تظل حتى عام ١٩٤٥ ، وفيما بين ١٩٤٥ ، ١٩٧٥ يمكن مراجعة الإيجار بإضافة ١ ٪ من القيمة الأصلية

(١) الشلن في شرق إفريقيا مقسم إلى ١٠٠ سنت . فكان إيجار الفدان السنوي لا يصل إلى عشرة مليات .

للأرض ، وترتفع هذه النسبة إلى ٣ ٪ فيما بين عامي ١٩٧٥ ،
٢٠٠٥ ، وإلى ٣ ٪ في الفترات اللاحقة ، ولكن — من الناحية
العملية — لم يطبق هذا عام ١٩٤٥ لظروف الحرب .

وأعطى القانون سلطات أوسع للحاكم العام ليووقف بيع
الأرض بين أفراد من جنسيات مختلفة ، وكان الهدف المقصود
من ذلك منع تسرب الأرض إلى أيدي الآسيويين .

وحاول القانون إرضاء الإفريقيين . ولجأ إلى طريقة التخدير
البريطانية فأعلن : « أن أرض التاج تشمل كل الأراضي المخصصة
للقبائل المحلية ، وحق الأهالي فيها محفوظ لا يمكن الاعتداء عليه » .
وأوقفت الحكومة منح الأرض للمستوطنين في أثناء الحرب
العالمية الأولى ، ولكن ما كادت تنتهي الحرب حتى كانت حكومة
كينيا وعلى رأسها سير « ادوارد نورثي » تتبنى مشروعا جديداً ، يرمي
إلى توطين المحاربين القدماء في مرتفعات كينيا ، وأعطتهم نحو
٢ مليون فدان مقسمة إلى نحو ألف مزرعة .

وعادت المشكلة إلى القضاء في عام ١٩٢١ : ففي قضية بين
اثنين من قبيلة الكيكويو ، ادّعى أحدهما أنه حصل على الأرض
وحازها حيازة فردية عن طريق الشراء من رجل إفريقي آخر ،
قررت المحكمة أن جميع الحقوق الفردية قد ألغائها إعلان قانون

١٩١٥ ، وأضافت المحكمة أن الوضع القانوني للأهالي في المعازل هو : مستأجر بإذن التاج ، وكانت هذه — كما يقول لورد هيلي — « مناسبة تعسة لتطبيق مواد من القانون الإنجليزي على حالة تتلاءم مع هذا القانون ، وهما كانت لياقة التعبير المستخدم ، فإنه أضاف جديداً إلى إحساس الأهالي بالقلق على الحقوق التي يعيشون بها في أرضهم ، وألقت الضوء على أمر كانت الإدارة الاستعمارية تستطيع تجنبه لو أنها كانت أكثر كفاءة لتمارس هذه المشكلات الحيوية » .

وفي أواخر العقد الثاني من هذا القرن — أي بعد عشرين عاماً تقريباً من بدء الاستيطان — كانت معظم الأراضي الصالحة التي أرادها المستوطنون قد انتقلت إلى أيديهم ، ويذكر دكتور « بويل » : إن متوسط ملكية الفرد من المستوطنين في ذلك الوقت كانت نحو ١٣١٥ فدانا يزرع منها ٢٣٢ وترعى أغنامه وماعزه ٣٢٦ وتسرح ماشيته في ٧٥٧ » .

واشتد قلق الإفريقيين ، وتتابعت المسكنات البريطانية ، ففي ١٩٢٣ أدلى دوق ديفونشاير ، وزير المستعمرات البريطاني بتصريح يعتبر « الماينا كارتا الكيني » ، وقد أثار هذا التصريح الدهشة ، وجاء فيه : « كينيا منطقة إفريقية أساساً . وترى

حكومة صاحب الجلالة ، أن تسجل رأيها بعد ترو . إن مصالح السكان الإفريقيين ، يتحتم اعتبارها في الصدارة . ومتى تعارضت هذه المصالح مع مصالح الشعوب المهاجرة : البريطانيين والهنود مثلاً ، فيجب أن تسود مصالح الإفريقيين . . . وتعتبر حكومة صاحب الجلالة نفسها — فيما يتعلق بإدارة كينيا — تؤدي أمانة في عنقها للسكان الإفريقيين ، الغرض منها حماية الشعوب الأصلية والعمل على تقدمها .

وكونت الحكومة البريطانية لجنة شرق إفريقيا ١٩٢٤ — ١٩٢٥ ، وعلى أساس توصياتها سجلت الحكومة أماكن المعازل الإفريقية ، وأوصت لجنة ١٩٢٩ بضرورة إعطاء الأهالي نوعاً من الضمان الإيجابي لما في أيديهم من الأرض في شرق إفريقيا ، وجاء قانون ١٩٣٠ ليصرح بأن المعازل ينبغي أن تخصص لأهالي إلى الأبد .

هذه المعازل هي ما تبقى من مطامع الأوربيين وأصبحت المحافظة عليها هدف الحكومة الأول ، تعيّن من أجله اللجان . وتراجعت مشكلة كفاية أرض المعازل للأهالي إلى المرتبة الثانية .

* * *

وتتألفت اللجان وسنكتفي فيها بلجنتين : الأولى لجنة « كارت » ، والثانية لجنة « داو » وهي اللجنة الملكية لشرق إفريقيا ١٩٥٣ - ١٩٥٥ .

وكان تشكيل اللجنة الأولى عام ١٩٣٣ برئاسة سير موريس كارت ونشرت تقريرها عام ١٩٣٤ . ولم تنظر هذه اللجنة في حاجة الأهالي إلى الأرض نظرة كلية شاملة ، وإنما نظرت إلى مشكلات القبائل التي تأثرت بالاستيطان ، وعندما بدأت عملها كانت المساحة المخصصة للأوروبيين عملياً نحو ١٠٣٤٥ ميل^٢ هي أجود أراضي المستعمرة ، وتعادل نحو ٦ مليون و ٣٠٠ ألف فدان ، بينما مجموع مساحة المعازل الإفريقية نحو ٤٣ ألف ميل^٢ سبقت الإشارة إلى ظروفها الصحية والمناخية وتدهور تربتها وازدحام السكان فيها ، ونشرت البعثة تقريراً ضخماً وأوصت بضم مساحة وصلت بها المعازل إلى نحو ٥٠ ألف ميل^٢ .

والناحية التي تسترعى الانتباه في تقرير كارت هي توصيته بتوقيع حدود المرتفعات البيضاء على خريطة رسمية ، والاعتراف بحق الأوروبيين المشروع فيها ، والمساحة التي أوصت بها اللجنة تبلغ نحو ١٦٢٠٠ ميل^٢ أي ما يعادل ٩ ملايين ، ٧٥٠ ألف فدان تقريباً خصصت منها ٣٩٥٠ ميلاً للغابات ، كما أوصت اللجنة

بتحديد المعازل الإفريقية ، وأعطت الأوربيين ضماناً بالاعتدى الإفريقيون على الأرض الأوربية ، كما أعطت الإفريقيين ضماناً بالاعتدى الأوربيون على المعازل الإفريقية .

وتعرضت أعمال لجنة كارتر لكثير من النقد من جانب الأوربيين والإفريقيين على السواء ، ويمكن للإنسان أن يفهم نقد الإفريقيين لأعمال اللجنة ، فهم المظلومون من أول الأمر . أرضهم انتزعت منهم وهى كل حياتهم ، أما الأوربيون فلم تكن ثورتهم إلا امتداداً لمطامعهم .

فى الوقت الذى كانت تضع اللجنة فيه تقريرها كانت مساحة الأرض التى يحتلها الأوربيون بالفعل ٣٤٥ ر ١٠ ميلاً منها ١١ ر ١١٪ مزروعة و ٧ ر ٤٠٪ متروكة للحيوانات الرعوية و ٢٠٪ يحتلها الأجراء الإفريقيون و ٥ ر ٢٧٪ لم تكن مستغلة .

يبدو من هذه الأرقام الفرق بين الأرض التى كان يشغلها الأوربيون فعلاً والأرض التى وضعوا عليها أيديهم - بقرار اللجنة - بعد استبعاد أرض الغابات .

أما فيما يتعلق بتأمين التأجير فى المعازل القبلية ، فإن اللجنة قابلتها مشكلة العثور على منجم ذهب فى كامبيجا فى أرض الكافرندو الشديدة الازدحام ، والذى فعلته الحكومة هو

انتزاع الأرض من أهلها مما زاد من قلق السكان وأضعف ثقتهم في الحكومة .

ومع كثرة المواد التي وضعتها اللجنة لتؤكد فيها حقوق الأهالي في المعازل ، إلا أنها أبقت في يد الحاكم العام حق استبعاد أى أرض من المعازل الإفريقية مادام هذا في سبيل المصلحة العامة ، وصدرت بتوصيات اللجنة قوانين في عامي ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ . وتكونت تسع وحدات من الأراضي تسكنها القبائل الإفريقية الرئيسية في كينيا ، وأرقت الحكومة بالقانون نصا يعطيها الحق في حرمان الأهالي من الأرض بسبب الخيانة أو الثورة .

* * *

وفيما يتعلق بالإفريقيين الذين يعيشون في مزارع أوربية ، فقد لاحظت اللجنة أن بعض هؤلاء كانوا يعيشون في هذه الأرض قبل مجيء الأوربيين بمدة طويلة ، وذهبت إلى أن حقوقهم ضاعت بحق الفتح ، وأوصت بتوفير أماكن لهم في المعازل الإفريقية ، وبدأ اتخاذ هذه الإجراءات من عام ١٩٤٠ ، وكان معنى ذلك حشدهم في المعازل التي تبين فيها من سكان متزاحمين .

* * *

وقابلت اللجنة مشكلة أخرى أشد تعقيدا ، هي مشكلة

الإفريقيين الذين ضاقت بهم المعازل واشتدت عليهم وطأة الضرائب فذهبوا إلى المرتفعات البيضاء يعملون فيها ، وهم الذين يطلق عليهم إصطلاح « واضعى اليد » . وقد سبق أن لاحظت لجنة الأراضى عام ١٩٣٢ أن عودة أعداد كبيرة من العمال إلى المرتفعات البيضاء يؤدى إلى أن تتكون فيها جالية إفريقية لها خطرها ، فضلا عما فى زيادة الماشية الإفريقية من إرهاق للمراعى كما حدث فى المعازل ، وكان هدف الأوربيين ألا يوجد فى المرتفعات من الإفريقيين إلا من تقتضى حاجة العمل وجوده ، على أن تعيد الحكومة الأعداد الزائدة إلى المعازل مرة أخرى .

واضعو اليد هؤلاء لا يستطيعون - قانونا - أن يدعوا بحقوق لهم فى المرتفعات ، وفى إحصاء ١٩٤٨ كان عددهم فى المرتفعات يقرب من مائتى ألف يعيشون فى المزارع والغابات المحفوظة ، ومعظمهم من الكيكويو ، وقدرت المساحة التى يشغلونها بنحو مليون فدان .

وقد سبقت الإشارة إلى ظروف الضغط الحكومى - بتوجيه المستوطنين - لإرغام الإفريقيين على الهجرة من المعازل للعمل فى المرتفعات ، وكيف اتخذت الحكومة نظام الكياندى لتحصر به العاملين وأين يعملون ، ومتى تنتهى عقودهم

وكيف أصدرت الحكومة قانوناً عام ١٩١٨ ينظم هذا النوع الجديد من الرق الاقتصادي ، وكيف ثار عليه الإفريقيون .
وأعادت الحكومة النظر في هذه الأنظمة — بناء على توصية لجنة كارتر — وصدرت قوانين في أعوام ٣٧ ، ٣٩ ، ١٩٤١ ونصت على أجري دفعه المالك للأجير ويحدد له قطعة أرض وعددا من الماشية . هذه الأنظمة هوجت مهاجمة عنيفة . وفي عام ١٩٥٨ هاجمها حزب العمال في مجلس العموم وذكر أن الأجر لم يكن يزيد عن ثلاثين شلن في الشهر إلى جانب بعض المواد الغذائية . ومن أهم ما في التعديلات التي أجرتها الحكومة في قانون عام ١٩٣٧ ، أن الإفريقي لا يحمل له أن يبقى في مزرعة إلا إذا كان يعمل فيها فعلاً أو تعاقد مع مالكها . وإذا صحبت العامل أسرته فلا يجوز أن تتعدى الأسرة الزوجة أو الزوجات والأبناء غير المتزوجين ، وعلى كل فرد في الأسرة يزيد سنه عن السادسة عشرة أن يعمل لصاحب المزرعة مدة لا تقل عن ١٨٠ يوماً في السنة — وهي نفس المدة القديمة — ومدة العقد لا تقل عن سنة ولا تزيد عن خمس ، وحرّم القانون على الإفريقي زراعة غلات معينة ، وأعطى الإدارة الحق في إبعاد أي عامل تراه خطراً على الأمن . وعادت الحكومة بعد هذا فنصت على أن مدة العمل لا تقل

عن ١٨٠ يوما ولا تزيد عن ٢٧٠ يوما في السنة، وفي هذا اتجاه إلى إطالة مدة العمل صحبه اتجاه إلى تقليل مساحة الأرض التي يزرعون فيها غلاتهم الخاصة ويرعون ما شيتهم ، وأبدت الحكومة رغبتها عام ١٩٤٥ ، في أنه « يجب النظر إلى العمال الإفريقيين على أنهم أصبحوا جزءا لا يمكن الاستغناء عنه من سكان المرتفعات » . وقد درست لجنة داو (١٩٥٣ - ١٩٥٥) هذه المشكلة مرة أخرى وأوصت بأن نظام العقود الزراعية القائم ينبغي أن ينتهي ليحل محله نظام العمال الزراعيين المقيمين ، أى أنها أوصت بإنشاء قرى إفريقية دائمة في المرتفعات ، وسنعود إلى مناقشة هذه المشكلة بعد قليل .

* * *

ولجنة داو ، أو كما تسمى رسميا « اللجنة الملكية لشرق إفريقيا ١٩٥٣ - ١٩٥٥ » لها تقرير يعتبر أضخم الأعمال العالمية التي تمت عن كينيا ومشكلاتها بعد تقرير لجنة كارتر . وقد اقترح تكوينها سير فيليب ميثشل الحاكم العام السابق لكينيا عام ١٩٥٢ عندما كانت نيران الثورة تمتد في كينيا ، واحتاج الموقف إلى لجنة جديدة تبشر الإفريقيين بمستقبل جديد بينا القوات المحاربة تحصد المجاهدين وتهاجم الأمنين .

وتكونت اللجنة من سبعة أعضاء برئاسة سير « هـ . داو » وله خبرة واسعة في شئون الهند ومعه أعضاء آخرون مختصون في الزراعة والاقتصاد والمالية وكان فيها عضو إفريقي . ومن المفهوم - وإن كان التقرير لم يشير إلى ذلك - أن الدكتور فرنكل - من قادة الفكر الاقتصادي في اتحاد جنوب إفريقيا - ربما كان أقوى أعضاء اللجنة تأثيراً ، وهو المسئول إلى حد كبير عن كثير من الآراء المعروضة .

وجاء في تحديد اختصاص اللجنة « أنه نظراً إلى ارتفاع معدل زيادة السكان الإفريقيين ، وازدحامهم الشديد في بعض الأماكن ، فعلى اللجنة أن تدرس الوسائل التي يمكن اتخاذها لرفع مستوى المعيشة ، بما في ذلك تشجيع إدخال رؤوس الأموال حتى تساعد الزراعة الريفية على الإنتاج الواسع » ، وكلفت اللجنة أيضاً بتقديم مقترحاتها لرفع المستوى الزراعي وتحسين وسائله ، وتطوير نظم الحياة القبلية واستغلال الأراضي التي لم يتم استغلالها بعد ، وتنمية نواحي النشاط الاقتصادي والعمالة مع العناية بالجانب الاجتماعي ، ونمو سكان المدن ، والمشكلات الاجتماعية الناتجة من نمو السكان المستقرين والعاملين في الصناعة وطُلب من اللجنة - إذا رأت ذلك ضرورياً - أن تقدم اقتراحاتها في الميادين

المتصلة بموضوعها كالتعليم والصحة العامة وتأمين صيانة الأرض
في المناطق محل الدراسة .

وكان تفسير اللجنة لاختصاصاتها واسعاً جداً ، وامتدت
أبحاثها لتشمل ميادين أرحب مما حُدد لها رسمياً .

درس التقرير الظواهر الطبيعية في شرق إفريقيا، باعتبارها
الأساس الجغرافي لمشكلات الإقليم ، وعرض للسكان وسلالاتهم
المختلفة ، والتطورات التي طرأت على الإفريقيين بعد الاستعمار
الأوروبي ، وكيف أن الاستعمار أدى إلى تفكك الروابط الأسرية
والقبلية القديمة ، وأوضح القلق الذي أصبح المتعلمون الإفريقيون
يعيشون فيه .

ثم درس اقتصاديات شرق إفريقيا القائمة والممكنة ، وثنائية
الوضع الزراعي ، والطابع المميز لكل من الإنتاج الأوروبي
والإفريقي ، والعوامل التي تتحكم في الزراعة وأهمية الأرض في
حياة كينيا ، والعوامل التي أدت إلى تعقد مشكلة الأرض
والصراع عليها .

واهتم بإمكانات الصناعة والتعدين وحالة السكان في المدن ،
وسوء وضع الإفريقيين فيها ، وعدم كفاية المواصلات وانخفاض
أجور العمال الإفريقيين والظروف القاسية التي يعملون فيها في

المرتفعات البيضاء ، وكيف خفّضت الحكومة المساحات التي كانوا يزرعونها ، وعدد الماشية التي كانوا يرعونها مما أدى إلى تدهور مواردهم ، وكانت من الأصل قليلة .

ودرس مشكلة المواءمة بين الأمن والعلاقات القبلية ، ونقد اتجاه تقرير لجنة كارتر عندما عاجلت مشكلة الأرض على أساس الوحدات القبلية باعتبار كل منها وحدة متميزة ، فقد ثبت عملياً « أن كلا من الأوربيين والإفريقيين غير مطمئنين إلى الجهود التي بذلت ، وأن هذه الجهود لم تؤد إلى توفير الأمن للفريقيين » ، وأوصت بضرورة النظر إلى القطر كوحدة يمكن أن تتميز أقسامها على أساس توفر موارد المياه ، وصرح التقرير بأن السياسة السابقة أدت إلى اشتداد الصراع العنصري في كينيا ، وزيادة الإحساس بالظلم ، عند ما يرى الإفريقيون أرضاً محجوزة للأوربيين لا يزرعونها ولا يدعون الإفريقيين يستفيدون منها .

ولابد أن يؤدي اشتداد الطلب على الأرض الخصبية إلى الصراع عليها ، ما دامت هذه الأرض محدودة ، وهذا الصراع قد يؤدي بدوره إلى إحجام رؤوس الأموال والخبراء عن العمل في كينيا ، وأكد التقرير أن التنمية الاقتصادية التي لا يشارك فيها الإفريقيون

لا بد أن تؤدي إلى زيادة الصراع العنصرى ما لم تبذل الجهود لإقناع الإفريقيين بمجدواها لهم .

وصرح بأن الجهود التى تبذل للتوفيق بين الإفريقيين والأوروبيين تصطدم بعقبة كبيرة هى مشكلة الأرض ، فشرق إفريقيا لا زال « إقليما به جزائر صغيرة من الإنتاج الحديث وسط بحر آسن نسبياً من الاقتصاد التقليدى والموارد الطبيعية غير المعروفة أو المستغلة » .

* * *

وانتقل بعد هذا إلى عرض توصياته وناقش مشكلة ضبط عدد السكان ، ولم يقبل التوصيات التى قدمتها الجهات الرسمية فى هذا الشأن ، ورد التقرير الزيادة فى السكان إلى النمو الطبيعى . والواقع أن الكثافة العالية فى بعض أجزاء كينيا مصنعة وغير طبيعية ، نتجت من حشد الإفريقيين فى المعازل واكتظاظها بهم ، بينما يعيش المستوطنون لا يعانون شيئاً من ذلك فى المرتفعات البيضاء ، وسجل التقرير أن شرق إفريقيا — بعامه — قليل السكان ، وأن التنمية الاقتصادية لا يلائمها تثبيت عدد السكان أو تخفيضه ، وهو ما تنادى به الحكومة والمستوطنون ، ووجه التقرير عناية كبيرة إلى الازدحام الشديد فى بعض المناطق التى

أخذ الإنتاج الزراعي فيها في التدهور ، وتلفت مواردها ،
وأصبحت الأسر عاجزة عن العثور على أرض جديدة ، فزرعوا
الأرض التي ينبغي أن تترك بوراً .

والإفريقيون — كما صرح التقرير — يخشون فتح باب
الهجرة لعناصر أوربية جديدة تستولى على أرض جيدة ، بينما
يرى الأوريون المقيمون أن أي طارئ جديد سوف يكون
متطفلاً على النشاط الاقتصادي القائم ، وأن الهجرة الآسيوية بالذات
سوف تزيد من تعقد المشكلة . فالمشكلة الحقيقية إذن ليست في
الإمكانات الكلية لكينيا بقدر ما هي في سوء توزيع هذه
الإمكانات على العناصر البشرية الثلاثة فيها .

وأوصت اللجنة بتطوير نظم الزراعة والعناية بالرعي وتربية
الماشية وتسويق الإنتاج ، وصيانة التربة وموارد المياه وتشجيع
الصناعات اليدوية ، وبخاصة في الأجزاء التي ازدحم فيها السكان .
وحركة التصنيع هذه ستظل — كما يرى التقرير — معتمدة
إلى حد كبير على رؤوس أموال وإدارة غير إفريقية ، هذا
الأمر لا بد أن يؤدي إلى شيء من الشك في نفوس بعض
الإفريقيين ، ولا بد من تهيئة الجو الملائم لمشروعات التنمية ، وإن
كان التقرير لا يرى في التصنيع الحل السريع للمشكلة .

وكانت اللجنة أكثر تفاؤلاً بمستقبل التعدين ، وأشارت إلى حاجته إلى رأس المال الخارجي والبحوث العلمية الممهدة ، واقترحت تكوين لجنة تعدين لشرق إفريقيا ، ولكن هذا الاقتراح رفضته كل حكومات شرق إفريقيا لشدة ارتباط التعدين بالوضع المالي للدولة وما يؤدي إليه من مشكلات . وأوصت كذلك بضرورة العناية بالمواصلات ووسائلها المختلفة ، وتناولت شؤون الصحة والتعليم وأن تكون الإنجليزية لغة التخاطب في شرق إفريقيا .

وعاد التقرير ليؤكد أهمية استيراد رؤوس الأموال الخارجية ، وأن أهمية هذه الأموال للاستثمارات في شرق إفريقيا أكبر من أهمية شرق إفريقيا لهذه الاستثمارات لضآلة الاقتصاد في الإقليم ، ولم تبذل اللجنة جهداً في تقدير رؤوس الأموال المطلوبة ، ولكن حكومة كينيا قدرت أن ما يلزمها في مشروع السنوات الخمس يبلغ نحو ٧٠٠ مليون دولار ، وأجمع رؤساء حكومات شرق إفريقيا على أن مشروعات التنمية التي تقترحها اللجنة أكبر من طاقة الإقليم ، وكان هذا الإجماع مشار تعليقات كثير من المعقبين ، حتى أن جريدة « الإيكونوميست » تساءلت « هل كان الهدف من التكاليف المرتفعة التي اقترحتها

حكاه شرق إفريقيا أن تساعد على تخفيف الرأي العام من
الأراء القوية البناءة ، مادامت هذه الأراء قد اخافت الحكاه ١٩» .

* * *

وفها يتعلق بالأرض فإن اللجنة لم تضع فى المحل الأول حاجة
من محتاج إلى الأرض لغذائه ، ولكن وجهت عنايتها إلى من
يستطيع أن يحسن القيام بأمرها ، وكان هدفها الكبير زيادة
الإنتاج ، ودعت إلى الاتجاه نحو تفتيت الروابط القبلية
والعنصرية ، وهى روابط أدت إلى زيادة التعصب والتوتر ،
وطالبت بتعديلين أساسيين :-

١ - أن يزيد عدد السكان الذين لا يعتمدون على الأرض
عتمادا أساسيا كمورد رزق .

٢ - تشجيع الملكية الفردية فى الأرض والتصرف فيها ،
مع ضبط انتقال الأرض بين أفراد من عناصر مختلفة .

هذه المقترحات رفضتها حكومات شرق إفريقيا ، ورأى
حاكم كينيا العام أن التقرير وجهه عناية كبيرة إلى الأوضاع
الاقتصادية ، وتجاوز عن الكثير من التقاليد القبلية مع أنها
لا زالت الأساس العملى لإدارة كينيا فى الوقت الحاضر ، وأشار
المعقبون إلى أن الباغنده - فى أوغنده - عندهم ملكية فردية

ومع هذا لا زالوا يعيشون في خوف دائم من انتزاع أرضهم ،
ويعارضون في التصنيع ؛ لأنه يحمل المزيد من المهاجرين
الأوربيين إليهم .

وطالب التقرير بضرورة إزالة نظم التفرقة والقيود الكثيرة
المفروضة في شرق إفريقيا ، وبإزالتها يمكن إقامة نظام اقتصادي
جديد يساهم فيه كل المواطنين .

فالتوزيع ، مثلا ، يعكس النظام الثنائي الذي تحيا فيه المنطقة ،
فهناك نظام إفريقي للتجارة يسير على الأوضاع التقليدية ، بينما
النظام غير الإفريقي متقدم ، ويرتبط بالتطورات العالمية ، ومن
الممكن أن يتحسن إذا تحرر من القيود الكثيرة التي خضع
لها ، والتي تظن حكومات شرق إفريقيا أنها لازمة للاستقرار .
ولم تجد اللجنة استجابة لمقترحاتها في هذا الشأن ، فحكومة
كينيا ترى أهمية كل من التنمية الاقتصادية واستقرار الأوضاع
المألوفة ؛ ولهذا لم تقبل مقترحات اللجنة بشأن حرية التسويق .

* * *

ولعل أشد اقتراحات اللجنة لفتا للذهن ، هو اعتبارها
شرق إفريقيا وحدة اجتماعية واقتصادية ، والتنمية — في رأى
اللجنة — تعتمد أساسا على المدى الذي يستطيعه السكان المحليون

في شرق إفريقيا مستعنيين في هذا بعدد من المهاجرين ، على أن يتكامل هذا التطور مع الاقتصاد العالمي ، فيستمد منه رأس المال والخبرة .

وضربت اللجنة مثلاً بالمواصلات ، فالمصالح الجزئية لكل من دول شرق إفريقيا عاقت النظرة الكلية لحاجات هذا المرفق ومصالحه ، وهناك محاباة في نفقات نقل سلع خاصة - لصالح المستوطنين - أدت إلى التضحية ببعض حاجات المرفق . ودرست اللجنة مشكلة اليد العاملة والسياسة المتبعة فيها ، وذكرت أن هذه السياسة ينبغي أن يكون هدفها حصول العامل على أعلى الأجور التي تؤهله لها إنتاجية العمل في جو آمن وتحت إشراف يرفع كفايته ، وشفعت اللجنة هذا بمقترحاتها ومن بينها الحد من الهجرة ، ويرتبط بهذا أن يكون العامل حراً في اختيار المكان الذي يعمل فيه ، والجهة التي يعرض عليها جهوده ، دون أن يكون مقيداً بالنظم العتيقة التي فرضتها حكومة كينيا على العمال . وهذه المشكلة وثيقة الصلة بالإنتاج الزراعي في المرتفعات البيضاء ، ويقتضى تنفيذ مقترحات اللجنة أن تشتري الحكومة أو تحصل على أرض يستطيع فيها العمال الزراعيون أن يستأجروا أرضاً يسكنونها بعقود طويلة .

ولكن حاكم كينيا رفض هذه الفكرة ، وكانت حجته
ضياع الروابط الشخصية بين المؤجر والعامل ، ونقص الكفاية ،
وطول المسافة التي يقطعها العامل إلى الأرض التي يعمل فيها ،
والحاجة إلى عمال مقيمين لرعاية المزارع التي توجد فيها قطعان
ماشية كبيرة ، ونقص الأرض الزراعية بتحويل جزء منها إلى
قرى سكنية ، ثم نفقات المباني والإدارة . ووضح من رد
الحاكم العام أن الجانب الأكبر من حججه يرمى أساساً إلى
خدمة المستوطنين ، هذا إلى خوفه من إنشاء أماكن استقرار في
المرتفعات البيضاء تكون لها شخصية إفريقية . وبعبارة
أخرى : عدم رغبته في قيام تجمعات إفريقية دائمة في المرتفعات
وإن كانت الأرض ستظل ملك الحكومة ، وموقف الحاكم هنا
نابع من التعصب العنصري الأوربي .

وأشارت اللجنة إلى وضع الإفريقي في المدينة حيث يجد
طرق الثروة والرقى الاجتماعي مسدودة أمامه ، بعد أن ترك
وراءه روابطه القبلية وحياته التقليدية باستقرارها وانتظامها .
في المدينة ينسلخ الإفريقي من ماضيه ، وتضطرب أمامه مسالك
الحاضر ولا يجد أمامه أملاً في مستقبل . والإفريقي يعيش في
المدينة حياة كثيفة ضيقة ذات مستوى خفيض ، واقترحت اللجنة

إعادة النظر في تخطيط المدن بحيث تسمح الحياة فيها « بالتحرك
التدريجي نحو المساواة الاجتماعية » وقيل حاكم كينيا هذا
الاقتراح « كهدف مرغوب فيه » .

وعاد التقرير ليؤكد — فيما يتعلق بمشكلة الأرض — أن
واجب الحاكم أن ينظر إليها كوحدة ، وأن يضع سياسة تهدف
إلى صالح المجموع لا صالح طائفة خاصة من المجتمع ، وأكد أن
فشل كينيا في اتخاذ خطوة تهدف إلى الوحدة سوف يؤدي إلى
تعويق التنمية في الوقت الذي يتحتم فيه زيادة التقدم ، وقد
قصص الأرض على الأوربيين في المرتفعات البيضاء ، وبين سوء
عواقبه وخطورتها ، فهذا الوضع يجعل من الأوربيين « قبيلة »
منعزلة لا تتوفر الثقة بينها وبين المحيط الإفريقي ؛ ولذلك ينبغي
ألا ينظر إلى اللون كأساس للتمييز بين الأفراد إلا إذا كان
كان هناك عامل آخر كالخبرة أو الكفاءة ، فكل المحاولات
التي تهدف إلى فرض مساواة مصطنعة تؤدي إلى اشتداد
فقر الفقير والانحدار بالمستوى الاقتصادي ، ومن ناحية أخرى
ينبغي أن تتوفر الظروف الصالحة التي تعطي الإفريقيين فرص
التقدم ؛ حتى يأخذوا حقهم الطبيعي في التقدم .

Geological Survey of Kenya
Geological Department
Nairobi

وينبغي أن يتضح في أذهانتنا أن المقترحات الأساسية التي
تقدمت بها اللجنة — وهي الخاصة بتحطيم الحدود العنصرية
والقبلية — قابلتها وسوف تقابلها آراء حادة عنيفة ، فهناك
عدد ضخم من القوانين واللوائح تؤكد الوضع المقابل ، وكثيرون
من الأوربيين والإفريقيين سيجدون من الصعب أن يلائموا
بين أفكارهم والمفاهيم الجديدة التي وضعت اللجنة معالمها .
وكان تعقيب حاكم كينيا على هذا الاتجاه : « أنه في الوقت
الذي يقبل فيه مبدأ إزالة العزلة بين العناصر ، تجد الحكومة
نفسها — في معظم الأحوال — عاجزة عن أن تتخذ أية خطوة
إيجابية ، ذلك لأن التعاون الاقتصادي والاجتماعي — في أساسه —
سلوك فردي ؛ ولا تستطيع الحكومة أن يكون سيرها في إلغاء
هذه القيود أوسع مدى مما يتحمله البناء الإداري والاجتماعي » .
ولاقت هذه المقترحات معارضة شديدة من كثير من
المستوطنين الأوربيين ، ولم ير هؤلاء أن الإفريقيين سوف
يرضون بالاستئجار في المرتفعات البيضاء بديلا ملائما عن ضياع
مركزهم تماما في المعازل .

ولقيت مقترحات اللجنة تأييدا من بعض الصحف البريطانية ،
ففي ٨ سبتمبر ١٩٥٦ ، نشرت « الايكونومست » مقالا بعنوان

« حكام شرق إفريقيا يقولون : لا » نقدت فيه موقف الجهاز الحاكم قائلة : « إذا لم تكن القوانين وسيلة تغيير هذه الأوضاع فماذا تكون الوسيلة ؟ » .

ويبدو من نواحي النقد التي وجهت إلى التقرير أنه سوف ينسى كما نسي كثير من المقترحات . ولكن - كما يقول دكتور « هانس » « من الصعب أن تتصور كيفية حل كثير من مشكلات شرق إفريقيا دون تنفيذ بعض المقترحات الأساسية التي أوردتها التقرير ، وسوف تجد اللجان المقبلة نفسها محجرة على الرجوع إلى مقترحات اللجنة » .

هذا التقرير يعتبر إضافة كبيرة في دراسة مشكلة كينيا بخاصة وشرق إفريقيا بعامة ، وهذه الآمال التي رسمها واضعو التقرير - رغم نواحي النقد التي توجه إليه - لم تجد طريقها إلى الحياة ، وإنما قابلها واقع مرير .

كانت الحكومة قد اعتقلت زعماء الإفريقيين وحاكمهم ، وأرهبت الجموع العزلاء ، وفر من الإفريقيين نفر إلى الغابات ، يحتمون بأشجارها ومخابئها من بطش الحكومة ، ويدافعون عن كياناتهم ويحاولون استرداد أرضهم ، وشاهدت كينيا حرباً دموية

غير متكافئة ، وقفت فيها الإمبرطورية البريطانية أمام شعب
إفريقي يملك القليل من المال والعتاد ، ونكلت بالأبرياء في ثورة
عرفها العالم باسم : «'ماو ماو » .



المنظمات السياسية

إلى عام ١٩٥٩

استمر الاستعمار في كينيا أن ينقسم المجتمع فيها بحيث تحيا العناصر البشرية الثلاثة حياة انفصالية . وعند مناقشة قضية كينيا في مجلس العموم البريطانى فى أواخر عام ١٩٥٨ ، علق النائب العالى « جون ستونهُوس » على استئثار الأوربيين بأفضل الأراضى بأن « حكومة كينيا تتصرف بالجبن ومخالفة للمستوطنين » ، ورغم أن وكيل وزارة المستعمرات حاول الرد على الهجوم العنيف الذى شنّه « ستونهُوس » إلا أن هذا لم يستطع تغيير الحقائق الرقمية التى أوردها النائب فى خطابه .

فالمستوطنون ومن ورائهم حكومة كينيا والحكومة البريطانية يحاولون باستمرار الاحتفاظ بوضعهم الممتاز فى المجتمع الكينى ، والإفريقيون - أصحاب الأرض - يرون أنفسهم مضطهدين فيها ولا تعطى لهم فرص الحياة الكافية . والآسيويون يريدون المساواة بالأوربيين فى الحقوق ويشكلون قوة يعمل حسابها كل من الأوربيين والإفريقيين ، ويحتفظون بمركز ممتاز فى الحياة

الاقتصادية . والتنافس بينهم وبين الإفريقيين ليس متكافئاً .
وكان من تكاثر عددهم أن خضعت الحكومة لرغبة الأوربيين
وحددت الهجرة الآسيوية من عام ١٩٤٨ . والاستثمار
الأوربي بدوره لازال معتمداً على اليد العاملة الإفريقية
ولم يتح الفرصة لكي تتكون منها طبقة وسطى قوية كانت
تكون في غرب إفريقيا ، وكانت قاعدة الأحزاب السياسية
فيها . واعتمدت التكوينات الحزبية الإفريقية في كينيا على
المزارعين في المعازل والعمال الزراعيين في المرتفعات البيضاء ،
ثم العمال في مراكز التجمع المدني وأهمها نيروبي ، وكانت
مشكلة الأرض والأجور المحور الذي يدور حوله الصراع
الحزبي ، وقام الكيكويو - باعتبارهم أكبر القبائل
الإفريقية وأنضجها - بدور كبير في هذا الكفاح .

* * *

ففي يونيو ١٩٢١ كون جماعة شباب الكيكويو - من بينهم
جومو كنياتا وهنري ثوكو - أول تنظيم سياسي إفريقي في كينيا
وحمل هذا التنظيم اسم « جمعية شرق إفريقيا » وقامت بالدفاع
عن حقوق الأجراء الزراعيين وقاومت نظام الكيباندي ،
واحتجت على إبعاد الإفريقيين من المرتفعات البيضاء لإفساح

الطريق لقدامى الضباط الأوربيين الذين شجعهم الحكومة
البريطانية وقتئذ على الاستيطان في كينيا بعد الحرب العالمية الأولى،
واستمر نشاط الجمعية نحو عام ثم صدر قرار الحكومة بمصادرة
نشاطها في مارس ١٩٢٢، واعتقال « هنري ثوكو »، وعندما
تظاهر المواطنون احتجاجا على ذلك، هاجمهم قوات الحكومة
وأطلقت عليهم الرصاص وأعلنت حالة الطوارئ.
ولتهدة الإفرقيين الذين أضاعهم الاستعمار وأصبحوا
يعتمدون على بيع مجهودهم للمهاجرين البيض الجدد، أصدر
دوق « ديفونشير » - وزير المستعمرات - تصريحه الذي سبقت
الإشارة إليه، والذي يعتبر العهد الأعظم (الماچنا كارتا)
الإفرقي في كينيا.

* * *

وبعد سنوات من حل جمعية شرق إفريقيا، عينت
الحكومة البريطانية لجنة برئاسة سير « هيلتون يونج » لدراسة
مشكلة كينيا وبحث مطالب الإفرقيين الذين اشتدت حاجتهم إلى
الأرض مع زيادة عددهم، وسارع الإفرقيون بتكوين « جمعية
الكويو المركزية » عام ١٩٢٨، لتستطيع عرض مطالبهم على
اللجنة، وانتخب كنياتا أمينا عاما لها وأرسلته الجمعية في العام التالي

إلى لندن لعرض قضية كينيا وكسب انصار لها من بين نواب حزب العمال البريطاني .

وقدم كنياتا باسم شعب السيكويو مذكرة إلى الحكومة البريطانية تتضمن المطالب الآتية :-

١ - أن تعود إلى قبيلتنا كل الأرض التابعة لها والتي استولى عليها المستوطنون .

٢ - أن تضاف إلى أرضنا الحالية مساحة مناسبة من الأرض الزراعية الخصبة وأرض المراعى نظرا لحاجتنا إليها ونظرا للزيادة المنتظرة في أبناء القبيلة .

٣ - أن توضح حدود معازلنا الحالية والمضافة بحيث يعرفها الجيل الحاضر والأجيال المقبلة بالعين المجردة دون رجوع إلى وثائق وخرائط .

٤ - أن تبقى أرض المعازل لأبنائها وألا يقطع منها أى جزء لغيرهم مهما كان الهدف .

٥ - المحافظة على نظام «الجيتاكا» داخل المعازل مع توفير ملكيات خاصة للعشائر والأسر ورعاية تعديل المساحة مع تغير عدد أفراد الأسرة .

٦ - أن يصرح لنا بشراء الأرض من الأوربيين والمهنود متى استطاع أفراد قبيلتنا ذلك .

٧ - أن توفر لكل عشيرة مساحة كافية من الغابات تحصل منها على حاجتها من الأخشاب والوقود كما توفر للماشية فرصة الوصول إلى الأماكن التي تحصل منها على الملح .

ونشط الكيكويو ومنظماتهم في نشر التعليم بين أفراد القبيلة وتبعثهم في هذا قبائل أخرى ، وأدى هذا النشاط إلى خلق وعى ذاتى ساعد بدوره على تدعيم مركز المنظمات الإفريقية، وتبنت الجمعية مبدأ الأجر المتساوى عن العمل الواحد . واشتدت حكومة كينيا في محاربة الجمعية وطالبت كبار رجال قبيلة الكيكويو بمعاونتها في هذا الأمر ، وأصدرت قرارا بتحريم أناشيد ورقصات وحفلات الجمعية ، وخطت بعد هذا خطوة أخرى فأخذت في اعتقال زعمائها .

وقد نشرت لجنة « يونج » تقريرها عام ١٩٣٠ ، وعلى أساسه أصدرت حكومة العمال برئاسة « رامزى مكدونالد » مذكرة عن السياسة الأهلية نادت فيها بالآتمنح حكومة كينيا - بعد هذا - أية أرض إفريقية لأوربي . ورغم هذا ظلت حكومة كينيا تحايب الأوربيين . ووالت جمعية الكيكويو المركزية الاحتجاج على

موقف حكومة كينيا ، واتبعت في احتجاجها ونشاطها الأساليب الدستورية كاللجوء إلى المحاكم ، وتقديم الالتماسات إلى البرلمان وعقد المؤتمرات والندوات ، والاتصال بأعضاء مجلس العموم البريطاني .

وأدى هذا إلى تكوين لجنة كارتر . وسبق أن رأينا كيف انتهت هذه اللجنة إلى زيادة المساحة المخصصة للأوربيين ، وأضفت على المظالم القائمة صفة شرعية جديدة .

وانتهزت حكومة كينيا فرصة قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، وإعلان الحرب على ألمانيا ، فسارعت - بناء على نصيحة المباحث الجنائية - بإصدار قرارها بحل جمعية الكيكويو المركزية عام ١٩٤٠ ، بحجة النشاط الهدام والاتصال بالإيطاليين .

* * *

ومضت سنوات الحرب بعد أن تركت آثارا عميقة في كينيا ، وأبرزت الحرب في شمال إفريقيا أهمية شرق القارة ، وساهم عدد كبير من أبناء كينيا في القتال ، وعملوا في الصناعات الحربية . واجتذبت حياة المدينة كثيرا من أبناء الريف ، واحتك هؤلاء جميعا بالحياة الجديدة ، ولم يخرجوا منها بنصيب يتناسب مع ما بذلوا من جهد ، وعاد المحاربون بعد أن اتسعت آفاقهم وزادت خبرتهم

واشتد تطلعهم إلى تحرير قومهم ، وبرزت من بين الجموع
الساخطة زعامات تستطيع أن تعبر عن آمال قومها وتقود الجموع
في طريق الكفاح .

وخل كينيا تا سبعة عشر عاما في بريطانيا ، يتصل بالمسؤولين
والذين يعطفون على القضية ، وشرح وجهة نظر قومه عام
١٩٤٥ ، أمام المؤتمر الخامس للوحدة الإفريقية في « منشستر » ،
وأيد المؤتمر بكل قوته كفاح كينيا لنيل الحريات الأربع بالطرق
السلمية ، ثم عاد كينيا تا في العام التالي إلى وطنه حيث اتصل باتحاد
كينيا الإفريقي .

وعندما عاد كينيا تا إلى وطنه ، قابله آلاف من قومه في ممبسة
- الثغر الرئيسى فى كينيا - ونظر الرجل إلى الوجوه المتطلعة
إليه وقال :-

« إننى لم أحضر لكم من أوروبا شيئا بعد أن غبت عنكم
سبعة عشر عاما ، وكل الذى جئت به - من الناحية السياسية - هو
الصدق فى المطالبة بحقوقنا ، وعندما أدعو الأوربيين الذين يقاومون
حقوق الإفريقيين إلى هذا الصدق ، ستصيبنا عداوتهم ، وسيشنون
حربا على هذا الصدق ، تصيب كل الذين يتصلون باتحاد كينيا الإفريقى »

وقد تكون هذا الاتحاد عام ١٩٤٤ ، واستهدف تكوين
جبهة قومية متحدة تضم الإفريقيين جميعا ، دون اعتبار للفروق
القبلية أو الدينية أو الطبقية وجعل أساليبه كلها دستورية قانونية.
وفي أول يونيو ١٩٤٧ عقد الاتحاد مؤتمره الأول في نيروبي
وحضره مندوبون يمثلون كل القبائل الرئيسية في كينيا :
الكيكويو ، اللو ، الماساي ، الكافرنديو ، الكامبا ... وانتخب
كنياتا رئيسا له ووضع الاتحاد برنامجا شاملا الجوانب الاقتصادية
والسياسية والاجتماعية وقدمه إلى حكومة كينيا .

ونادى الاتحاد بالحكم الذاتي للإفريقيين مع حفظ حقوق
الأقليات العنصرية ، وزيادة عدد ممثلي الإفريقيين في المجلسين
التشريعي والتنفيذي ، وإيقاف تملك الأوربيين الأرض وجعل
تعليم الإفريقيين إجباريا ، وإلغاء الكيباندي وغيرها من القيود
المفروضة على حريات ونشاط الإفريقيين ، وإقرار مبدأ الأجر
المتساوي على العمل الواحد ورفع أجور الإفريقيين الحالية .

ووصل عدد أعضاء الاتحاد عام ١٩٥٠ ، إلى أكثر من مائة
ألف وأصبحت له شبكة من الفروع تنتشر في كينيا كلها ، ونظم
زعماؤه حملة توقيعات ضمت نحو مليون توقيع على التماس
الحكومة البريطانية حمله وفد مكون من اثنين من مجلسه التنفيذي

- هما: «كيونانجي»، «وأونيكو» - لتقديمه إلى وزير المستعمرات .
ووصل الوفد بريطانيا في ٦ نوفمبر ١٩٥١ ، وكانت وزارة
العمال قد سقطت، ورفض وزير المحافظين «ليتلتون» مقابلة الوفد،
فعقد عدة اجتماعات عامة وقام بأسفار وأضاف توقيعات جديدة
لرفعها إلى مجلس العموم .

وفي فبراير ١٩٥٢ ، قام مستر ليتلتون وزير المستعمرات
البريطاني ومستر لينوكس بويد وزير الدولة لشئون المستعمرات
بزيارة كينيا، ورفض مقابلة وفد إفريقي أراد أن يقدم شكوى
بخصوص مسألة الأرض والنفوذ الأوربي ، وقام لينوكس بويد
بجولة في كينيا علقت عليها مجلة « أفريكان أفيرز » في عدد إبريل
١٩٥٢ ، بقولها: «إن مستر لينوكس بويد ترك أثرا طيبا في نفوس
المستوطنين (البيض) بينما لم ير إلا القليل من شئون العناصر
الأخرى » .

أما الوفد الكيني في لندن فبعد أن وضح أخطاء بريطانيا ،
عاد «أونيكو» ليقدم للاتحاد تقريره عن نشاطه ونشاط زميله
«كيونانجي» الذي بقي في لندن ليتابع شرح القضية والدفاع عنها ،
وعندما وصلت إلى كينيا أخبار التأييد الكبير الذي ناله الالتماس
من قطاعات متعددة من الرأي العام البريطاني ، ثار المستوطنون

البيض ، وأخذوا في الضغط على الحاكم العام سير «إيفلين باريج»
ليوقف نشاط الاتحاد ويعتقل قاداته ، وكان زعماء الاتحاد -
مثل كنياتا - قد صرحوا مرارا بكراهيتهم العنف ، وكانوا
يتابعون جهودهم الدائبة في رفع مستوى قومهم اقتصاديا واجتماعيا
على أسس قانونية ، ولم يجد الحاكم العام مبررا قويا يستند إليه
في إيقاف نشاط الاتحاد وأغضب هذا ممثلي المستوطنين البيض
في المجلس التشريعي ، وتعاونت معهم بعض الصحف الرجعية
والنواب المحافظون في البرلمان البريطاني ، ممن لهم روابط قوية
بالمستوطنين .

وزاد ضغط البيض على الحكومة لإيقاف نشاط الاتحاد
وسافر بعض المسئولين من حكومة كينيا لمقابلة وزير المستعمرات
في خريف ١٩٥٢ للتشاور معه في هذا الأمر ، وبينما كانت هذه
المشاورات دائرة هاجمت صحف المستوطنين ما أمته «ماوماو»
وكانت حركة - كما يدعى البيض - تهدف إلى إخراج الرجل
الأيض من المرتفعات وتنادى بـ «إفريقيا للإفريقيين» .

* * *

فإذا ما انتقلنا إلى الجانب الأوربي - قبل ثورة ماوماو -
وجدنا المستوطنين يهتمون أساسا بمصالحهم ، وقد أسقطوا من

حسابهم حق أبناء كينيا الإفريقيين في وطنهم ، وكانت جمعيات
ومنظمات البيض تعبر عن هذا الانحياز وتدافع عنه .
من أهم هذه المنظمات : جمعية المزارعين الأوربيين (١٩٠٣)
وجمعية المستعمرين البيض (١٩٠٧) واتحاد الناخبين الأوربيين
(١٩٤٤) .

* * *

وحاول المستوطنون من أول الأمر أن يكون هناك نوع
من الحكم الذاتى فى كينيا ، فى عام ١٩٠٦ صدر مرسوم
بإنشاء مجلسين تشريعى وتنفيذى ، ولم يكن فيهما من يمثل
الإفريقيين ولا الآسيويين .

وبدأ كفاح الآسيويين من وقت مبكر ، واستطاعوا عام
١٩٢٠ أن يدخلوا المجلس التشريعى بعضوين منتخبين بقائمة
منفصلة وأعادوا الكرة مرة أخرى ، ووافقت لجنة تحقيق
شكلت عام ١٩٢١ ، على أن يكون الانتخاب بقائمة منفصلة لكل
من العنصرين الأوروبى والآسيوى فى المجلس التشريعى ، ورفعت
عدد الأعضاء الآسيويين إلى خمسة يمثلون ٢٣ ألفا ، مقابل أحد
عشر أوربيا يمثلون عشرة آلاف مستوطن .

وحدث تعديل آخر فى المجلس التشريعى عام ١٩٢٧ ، ظل

فيه الآسيويون خمسة ، بينما ارتفع عدد الأوربيين المنتخبين إلى ١٨ عضوا ، منهم واحد يمثل المصالح الإفريقية ! ! وكان هذا أول إجراء اتخذته الحكومة لتمثيل مصالح الإفريقيين في المجلس التشريعي ، ورفض الآسيويون الوضع وقاطعوا الانتخابات ثم تعاونوا مع الحكومة مرة أخرى عام ١٩٣٤ ، وفي عام ١٩٤٤ عينت الحكومة أول إفريقي في المجلس التشريعي . وعينت عضوا ثانيا عام ١٩٤٦ بصفة مؤقتة ثم أصبح هذا التعيين دائما . عام ١٩٤٧ .

وبعد انتخابات عام ١٩٤٨ زاد عدد الإفريقيين إلى أربعة يعينهم الحاكم العام من قائمة تقدمها إليه هيئات الحكم الإفريقي المحلي ، وأصبح المجلس التشريعي يتكون من ١٦ عضوا بحكم وظائفهم ، ٢٢ غير موظفين منهم ١١ عضوا أوربيا منتخبا ، ٥ آسيويون ، ٤ إفريقيون معينون ، وعرييان أحدهما منتخب والآخر معين .

أما المجلس التنفيذي ففي عام ١٩١٩ ، أصبح فيه أوربي - يمثل المصالح الإفريقية - وآسيوي .

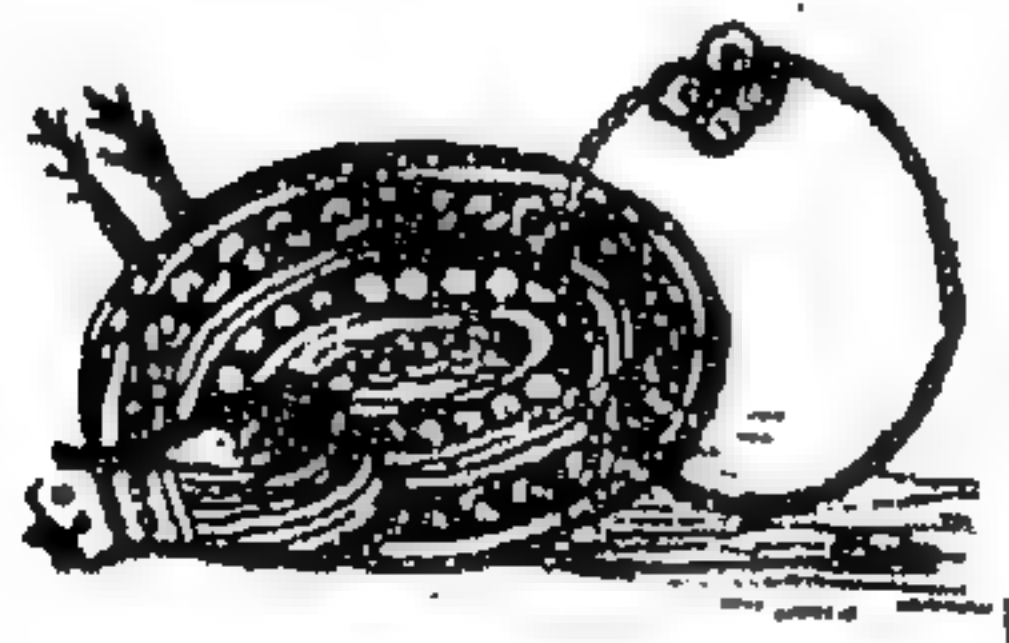
وأعيد النظر في الهيكل الدستوري للمستعمرة عام ١٩٥١ ، عندما بدأت تظهر بوادر الثورة ، ويشهد الوعي الإفريقي السياسي ، وكان للمشكلة ثلاثة جوانب : -

١ - فالحكومة رأت - تخفيفا لحدة الموقف - ان الوقت قد حان لتعيين إفریقی فی المجلس التنفيذي وزيادة عدد الأعضاء الإفریقیين فی المجلس التشريعی .

٢ - وقاوم المتطرفون من المستوطنين هذا الاتجاه ، وطالبوا بالایقل عدد ممثلهم المنتخبين عن مجموع ممثلي الإفریقیين والآسيويين معا .

٣ - وثارَت المناقشات حول نسبة الأعضاء بحكم وظائفهم فی المجلس التشريعی ، وهي مسألة لها وزنها عند المستوطنين الأوربيين .

وأدخلت تعديلات جزئية على الدستور عام ١٩٥٢ ، زاد فيها عدد الأعضاء المنتخبين فی المجلس التشريعی إلى ٢٨ منهم ٦ يمثلون الإفریقیين ، كما أصبح المجلس التنفيذي يتكون من ١٢ عضوا منهم إفریقی واحد .



قوة مارمار

حملة التوقيعات التي نظمها اتحاد كينيا الإفريقي ،
مدى سيطرته على القاعدة الشعبية وقدرته على
قيادتها ، وأحس المستوطنون الخطر الإفريقي المقبل ، فأرادوا
أن يعالجوا الحركة النامية ، بضربة تقضي على قوادها وتفتت
قاعدتها .

لم يقف المستوطنون والحكومة الكينية عند الجوانب
الإصلاحية ومعالجة أسباب المشكلة معالجة منصفة ، فالحكومة
حرمت الإفريقيين حقهم السياسي المشروع ، وحشرتهم في
المعازل الضيقة وفرضت عليهم الضرائب العالية فاضطروا إلى
العمل بأجور بخسة في مزارع الأوربيين دون أن تكون لهم
في الأرض حقوق ، وحرمت عليهم زراعة غلات معينة ووصل
بها الأمر إلى محاربة الإفريقيين في المنح الدراسية والبعثات
التعليمية وتصريحات السفر إلى الخارج ، وفرقت بين أجر
الإفريقي إذا قام بنفس العمل الذي يقوم به الأوربي تفرقة وصلت
إلى ثلاثة الأمثال .

كل هذا العنف والإرهاب لم تقف عنده حكومة كينيا ولا المستوطنون البيض وإنما الذي ذكروه وقتئذ خطورة اليقظة الإفريقية والخوف من عودة الحق إلى أهله .
وبدأت الحكومة بالتضييق على الزعماء ومراقبة الاجتماعات وتسجيل ما يدور فيها ، وارتفع صوت « مايكل بلندل » — زعيم الأوربيين في المجلس التشريعي — ينادى « بالقبض على زعماء الاتحاد ومهاجمتهم وتمزيقهم بكل سلاح » .

* * *

وبعد أن عاد المسئولان اللذان أوفدتهما حكومة كينيا لمقابلة وزير المستعمرات بشأن الموقف الداخلى واليقظة الإفريقية ، اعتمد المجلس التشريعي في جلسة خاصة عقدها في ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٥٢ عدة إجراءات من أهمها : —

- ١ — الرقابة على الصحافة والمطبوعات والمنظمات الإفريقية .
 - ٢ — مراقبة أى إفريقى يشتبه فى أنه على صلة بماو ماو .
 - ٣ — ضرورة تسجيل أية منظمة تضم عشرة أعضاء فأكثر ، ويستثنى من ذلك المنظمات التعاونية والماسونية واتحادات التجارة ، وتعتبر المنظمات غير المسجلة غير قانونية تلقائيا .
- وللحكومة حق حل أية منظمة لها روابط عالمية .

٤ — الاعتراف الذى يصل إليه ضابط البوليس يمكن اتخاذه شاهداً ضد الإفريقيين . والشاهد يمكن إدااته .

٥ — إذا اقتنع المفتش البريطانى بأن أحد الإفريقيين على صلة بماوماو ، كان له أن يقبض عليه ويأمر بإرساله إلى المعتقل ، وأى عصيان لهذا الأمر جزاؤه السجن ١٢ شهرا وغرامة ١٠٠ جنيه .

وتوتر الجو فى كينيا بعد هذه الإجراءات واستجابت الحكومة لضغط المستوطنين فأتخذت عدة خطوات أخرى من بينها العقوبة الجماعية على أى مجتمع إفريقى يعجز عن معرفة المتهمين منه فى حوادث ماوماو ، وأعطت الحكومة نفسها سلطة إجلاء الإفريقيين عن مساكنهم وقراهم إذا اقتضت ذلك المحافظة على الأمن ، بل وصل الأمر إلى إمكان مصادرة الماشية وقتلها وإتلاف المنقولات فى أية منطقة تقرر إخلاؤها .

واشتد ضغط المستوطنين ، فأعلنت الحكومة الأحكام العرفية فى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٢ ، وفى فجر اليوم التالى — ٢١ أكتوبر — قبضت على كنياتا وخمسة وعشرين عضواً من اتحاد كينيا ، وبدأت موجات الاعتقال الجمعى كل يوم خلال السنوات التالية . وبدأت بهذه الإجراءات دورة من الكفاح الدموى الذى

عرفه العالم باسم ثورة ماو ماو ، ومن الطبيعي أن يعتبر كينيا
وزملاؤه مسئولين عن نشاط الاتحاد ، وكان هذا النشاط سافرا
دستوريا ، ولكن من غير المعقول أن يعتبر كينيا مسئولاً عن
عن ثورة جاءت رد فعل للإجراءات العنيفة التي اتخذتها حكومة
كينيا حيال الإفريقيين .

* * *

ومن الصعب معرفة المقصود بكلمة ماو ماو . وهناك عدة
فروض حاولت تفسيرها : —

١ — أنها ترتبط بالحرفين A. U. من Kenya African
Union (K A U) .

٢ — ارتباطها بكلمة موما ، ومعناها القسَم عند الكيكويو .

٣ — ارتباطها بكلمة القوة عندهم .

والراجح أنها من اختراع الأوربيين ولا أناس لها في
اللغات المحلية .

ويرتبط الفرد بهذا التنظيم عن طريق أداء قسم في حفل
خاص يتعهد فيه الفرد بكتمان سر الجماعة ، وتنفيذ أوامرها
والتضحية بالمال والنفس في سبيل أهدافها ومحاربة أعدائها .
واستطاع المستوطنون أن يستصدروا من الحكومة قانوناً

يحول للمستوطن أن يطلق النار على الإفريقي إذا لم يقف فوراً عند أمره بذلك ، ونظموا « قوات بوليس المعازل » وتتكون من إفريقيين يوالون حكومة كينيا والمستوطنين البيض ، وحصل المستوطنون على ما يريدون من أسلحة نارية ، وفرضت الحكومة قوانين حظر التجول ليلاً في مناطق معينة ، وعززت قواتها .

* * *

ورداً على سياسة العنف الحكومية ، أصدر المجلس التنفيذي القائم بأعمال اتحاد كينيا بياناً باسم شعب كينيا يطالب بتحقيق الأهداف الآتية : —

- * إلغاء التفرقة العنصرية .
- * كفالة حاجة الإفريقيين إلى الأرض ، وإيقاف الهجرة الأوربية والآسيوية إلا على أساس مؤقت تقتضيه مصالح الصناعة والإدارة .
- * التوسع في التعليم الإفريقي في مراحله جميعاً .
- * أن يتبع نظام الانتخاب لا التمييز في عضوية الإفريقيين بالمجلسين التشريعي والتنفيذي وجميع المجالس واللجان الأخرى .

* وأن يكون هناك جدول انتخابي واحد للعناصر الثلاثة مع التوسع في الشروط الواجب توافرها في الناخب الإفريقي على أن تشمل النساء أيضاً .

* أن يتساوى عدد الإفريقيين - من الرععيين وغير الرععيين - في المجلس التشريعي .

* كفالة حرية العمل للاتحادات التجارية .

* فتح المجال أمام الإفريقيين للترقي في سلك الخدمة العسكرية والمدنية .

* التوسع في التنمية الاقتصادية وإلغاء القيود المفروضة على إنتاج الإفريقيين غلات خاصة .

* رفع الحد الأدنى للأجور بنسبة الثلث لمقابلة غلاء المعيشة وتوفير المسكن الملائم للعمال في نيروبي وممبسة .

* كفالة حرية الاجتماع والتعبير وتعديل لوائح الحكومة بما يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة ، وأن تلغى - في أقرب وقت ممكن - جميع القوانين الجائرة التي فرضتها الحكومة . وإتاحة فرصة العمل لاتحاد كينيا الإفريقي والصحافة الإفريقية الحرة .

* إطلاق سراح كل من اعتقلوا من ٢٠ أكتوبر أو محاكمهم فوراً .

* توسيع اختصاصات اللجنة الملكية (لجنة داو) بحيث تشمل دراسة مشكلة الأرض .

وضربت الحكومة بهذه المطالب العادلة عرض الأفق ،
وتابعت خطتها العنيفة ..

كانت الحكومة قد أغلقت تسع جرائد إفريقية، وقبل مضي شهر على إعلان الأحكام العرفية هاجمت مناطق الثورة وقبضت على أكثر من ثلاثين ألفاً، وشنت حرباً عنيفة على الثوار والأمنيين واشتدت الهجمات من الجانبين .

* * *

وكانت بريطانيا تعلم أن الثوار يقدسون ثورتهم وأن القسم الذي يؤدونه عند الانضمام له عمقه الذي يربط الأفراد بالجماعة ويعتقد أن الهلاك مصيره إذا حنت في العهد ، فلبجأت إلى سلاح مقابل ، فاستدعت نفراً من الكهنة الإفريقيين ، واستطاعت أن تستميلهم إلى جانبها وأقنعتهم بأن يعقدوا حفلات دينية يحضرها الإفريقيون ليتحللوا فيها من رباط القسم . وكانت هذه الطريقة ماثرة تعليقات الكثيرين في الدوائر الرسمية والعامة ، وعجبوا

كيف تلجأ الإمبراطورية إلى السحرة والسكينة تستعين بهم في تحقيق مآربها .

أما المسيحيون من الإفريقيين فلبجات معهم إلى طريقة أخرى، فكلفت الحكومة «أسقف كنتبري» أن يرسل مندوبا إلى كينيا يحض الإفريقيين المسيحيين فيها على السكينة والتزام القانون ، وجاء القس «بويس» وبعد عودته إلى لندن في آخر يناير ١٩٥٣ عقد مؤتمرا صحفياً تحدث فيه عن تعذيب المسجونين وندد بالوحشية التي تستخدم معهم .

وأصدرت الحكومة قانونا يقضي بإعدام من ينضم إلى الثوار أو من يثبت عليه الانضمام إلى ماو ماو أو حتى القسم على أنه منهم .

وإلى جانب السلاحين الديني والقانوني عززت الحكومة البريطانية قواتها في كينيا وأرسلت إمدادات حربية من قاعدة قنال السويس وجاء الجنرال أرسكين ليقود المعركة وجاء متطوعون ليساهموا فيها .

* * *

وحاكت كنياتا وزملاءه ، وقد سبق عرض ظروف هذه المحاكمة ، وحاولت الحكومة أن تنفر منه أتباعه فجاءت اتهاماتها

متكاملة ترمى إلى هذا الهدف ، واصطنعت شهوداً قالوا إنهم
استمعوا إلى صلوات وأدعية وضع فيها اسم كنياتا بدل المسيح ،
وحاولوا التشكيك في أمانته المالية ، كما حاولوا اتهمه بتدمير مقتل
بعض الزعماء الإفريقيين .

وفي ٨ يونية ١٩٥٣ ، خضع الحاكم العام «سيرايفلين بارنج»
لضغط المستوطنين وأصدر أمره بحل اتحاد كينيا الإفريقي ،
وبررت الحكومة هذا الإجراء بتصريح جاء فيه « ليس من
شك في أن هناك نفرا من أعضاء الاتحاد لا علاقة لهم بأعمال
العنف ، ولكن الحكومة أقدمت على هذه الخطوة لأنها اقتنعت
بان الاتحاد غطاء لحركة ماو ماو الإرهابية » .

وكان الاتحاد حركة قومية تضم الإفريقيين جميعاً في كينيا ،
وأرادت الحكومة بهذا الإجراء اتباع سياستها التقليدية وتفتيت
الجهة الإفريقية وتشجيع الزعماء على تكوين منظمات قبلية
انفصالية تستطيع الحكومة أن تضرب بعضها ببعض ، وتحول دون
تماسكها من جديد .

ولاشك في أن حل الاتحاد واعتقال القادة فتح السبيل أمام
نفر من الشباب المتحمس ليقود الجماعات الثائرة ضد العسف

الاستعماري ، واعتصم نفر منهم في الغابات يدافعون عن انفسهم
وحريتهم ويقاومون الظلم الواقع عليهم .

* * *

ومن وقت أن أعلنت الحكومة الأحكام العرفية أخذت تعزز
قواتها المحاربة حتى أصبحت نحو ثلاثين ألفاً في مطلع عام ١٩٥٣ .
وكانت خطة أرسكين في مقاومة الثورة أن يقسم قواته إلى
ثلاث وحدات : -

الأولى : تتكون أساساً من لواء مشاة يعمل في الغابات .
الثانية : كتيبة من العربات المصفحة ومشاة متنقلين .
الثالثة : قوة جوية تضرب معاقل الإفرقيين في الجبال .
وقامت القوات الحكومية بعدة عمليات عسكرية اصطلى
بنارها المحاربون وغير المحاربين على السواء ، ويمكن أن نذكر
نماذج من هذه العمليات :

ففي مساء ٢٦ مارس ١٩٥٣ - أي قبل حل اتحاد كينيا -
تقدمت قوات مسلحة إلى منطقة «لاري» وفتكت بالإفرقيين فيها ،
وكان المعتدون يرتدون زي ماو ماو ، ويتخذون شعاراتهم .
وأمكن التقاط صور فوتوغرافية تبين هذه الفظائع وأن
المعتدين من الماو ماو .

ويتساءل الإفريقيون والثوار : ما الذى يدعوهم إلى
المهجوم على قرية لارى وأهلها ؟ ويقولون : إن المهاجمين هم من
قوات الأمن الإفريقية التى اصطنعها المستوطنون البيض ، « ومن
السهل الحصول على صور فوتوغرافية لإفريقيين فى زى ماوماو
وشاراتهم . والمال والإغراء والحيانة كفيلة بذلك » . وسيستفيد
الأوريون من ذلك فائدة كبرى ، فهذه المذبحة يمكن أن تعتبر
نقطة انطلاق عمليات دامية يقوم بها الأوريون دفاعا — لا عن
أنفسهم فحسب — بل دفاعا عن الإفريقيين الأبرياء الذين ذبحهم
الثوار !! وتأخذ الحرب الاستعمارية هنا صفة الإنسانية العامة
التي توصل بها الاستعمار يوم دخل كينيا ، وتصبح جزءا من
أمانة الرجل الأبيض فى تمدين القارة السوداء ، وفى ظل هذه
الشعارات البراقة الخادعة يستطيع الأوريون الفتك بأعدائهم .
واشتدت وطأة الحكومة على الثوار ، فاستطاعت أن تجبرهم
على الانسحاب من جبال أبردارى وأصبحوا متركزين فى منطقة
جبل كينيا وحول نيروبي ، وهاجم الثوار — تحت ضغط الجوع
والحاجة — بعض المحلات العامة فى نيروبي ، واستولوا منها على بعض
مواد التموين التى تلزمهم فى حياة الغابات ، وكان رد الحكومة

على هذا طرد ١٨ ألفاً من الكيكويو من نيروبي وسورت
بالأسلاك الشائكة بعض مناطق سكنهم .

وأخذ المستوطنون في طرد الإفريقيين الذين يعملون في
أرضهم ، وعاد هؤلاء إلى المعازل التي اختنقت بمن فيها من
السكان حتى اضطرت الحكومة إلى إيقاف هذا التيار . وتوسعت
في السلطات الاستثنائية حتى شملت سحب رخص الباعة الإفريقيين
في نيروبي وإغلاق المحلات والفنادق ، وارتفع عدد المقبوض
عليهم في يناير ١٩٥٤ إلى أكثر من ١٦٥ ألفاً ، وربطت
الحكومة بين الثوار والأمنين وأخذت تضطهد القرى الإفريقية
بحجة أنها تعين الثوار .

وفي محاضرة ألقاها « مايكل بلندل » في لندن في أوائل
عام ١٩٥٥ ، أشار إلى رأى المستوطنين في تعاون القرى الآمنة
مع الثوار ، وهي الحججة التي قالت بها الحكومة لضطهد الإفريقيين
وتبغضهم في الثورة والثوار ، وتستطيع بذلك عزل الثوار
وإجبارهم على التسليم . في هذه المحاضرة قال بلندل : « هناك
جناح متطرف من الماو ماو يعمل في الغابات وجناح سلمي
في المعازل ، والاثنان مرتبطان معا ارتباطاً وثيقاً ، فكل عصاة
من الثوار تركز على مجموعة من المستقرين ، وقد أظهر

الجناح السلمي مثابرة نادرة وصبراً مرأً على متابعة أهدافه .
كانت قوات الحكومة تأتي إلى القرية فتسأل عن أفرادها ،
فإذا كشفت أمر غائب أو مجموعة من الغائبين ، أعطت القرية
مهلة أربع وعشرين ساعة ، فإذا عجزت عن تسليمهم صادرت
الماشية ودواب الركوب ، وأخرجت السكان من أرضهم وساقطهم
إلى المعتقلات .

وأصبح من العادى أن ترى الرجل الأوربى فى كينيا لا يدع
سلاحه أبداً ، والسيدة الأوربية تحمل سلاحها فى حقيبتها حتى
فى الحفلات الساهرة ، وتدور أحاديث الصالونات وتسمع فيها
تفاخر الأوربى بالعدد الذى استطاع أن يصطاده من الإفريقيين !!
وعم البلاء أرض الكيكويو ، واشتدت آلامهم حتى انتحر
فريق من تقدمت بهم السن تحت وطأة الحزن المرهق ، وامتلات
المعتقلات بالآلاف المؤلفة ، وانتشرت فيها الأوبئة ، وقاسى
المعتقلون العذاب المهيّن ، ودك البريطانيون القرى ، ولم يرحموا
ضعف المرأة ولا شبة الشيخ ولا براءة الطفل ، ودارت
المحاكمات سريعة رهيبة تلقى فى السجون بزهرة الشباب ، وكأنما
أرادت الحكومة أن تجمل من قبيلة الكيكويو عبرة لغيرها ،
فطردت عدداً كبيراً من أفرادها من وظائفهم ، وضيقّت على من

يعيشون في المعازل ، وتسافط قواد الثورة صرعى بعد كفاح
مرير في معركة غير متكافئة جهزت لها بريطانيا قواتها البرية
والجوية وجمعت لها جنودا نظاميين ومتطوعين من وراء البحار
ورصدت لها ملايين الجنيهات .

ووسعت بريطانيا نطاق هذه الحرب فقامت بعدة عمليات
مثل عملية أنفل . حدثت هذه العملية في ٢٤ أبريل ١٩٥٤
وتذكر المصادر البريطانية أن الحكومة استطاعت أن تجمع
أربعة وعشرين ألفا من قبائل الكيكويو والميرو والأمبو
من نيروبي وطردت منهم جانبا واعتقلت جانبا آخر .
وبمثل هذا الأسلوب استطاعت بريطانيا أن تحطم جوانب
لها خطرها من الاقتصاد الإفريقي وبخاصة عند الكيكويو ،
وأخذت تستخدمهم في أعمال السخرة وتنقلهم من معتزل إلى
آخر حتى « تعدهم من جديد للحياة العامة » .

* * *

وترتبت على عمليات الاعتقالات الواسعة مشكلة اجتماعية
جديدة ، وقد صرح « توم مبويا » في رحلة له إلى إنجلترا في
سبتمبر ١٩٥٤ « بأنه ليس هناك جهاز يرعى الأسرى التي اعتقلت
الحكومة أربابها في ثورة ماو ماو . وأصبح من المعتاد أن تطرد

الحكومة هذه الأسر من بيوتها وتعيدها إلى المعازل حيث لا يجدون ما يمسك رفقهم ، لقد أصبح الأطفال يدورون في الأسواق يبحثون عن الطعام وينامون في المساكن الخالية ، ويتسورون جدران الأسواق تحت ضغط الحاجة إلى أى مال . إن هؤلاء الأطفال الذين اعتقل آباؤهم - وأحياناً أمهاتهم - باسم الأحكام العرفية - يمثلون مشكلة اجتماعية خطيرة .

ويعلق « جورج بادموور » (١٩٥٦) على عمليات الحكومة العسكرية بقوله : « كانت هذه الحرب الاستعمارية القذرة تكلف الحكومة البريطانية نحو مليون جنيه كل شهر في عام ١٩٥٤ ، ومن المنتظر أن يزيد معدل نفقاتها كثيراً قبل أن تنتهى ، لقد رفضت الحكومة الخدمات التى عرضها زعماء الإفريقيين المسئولين مثل كينيا وزملاؤه من قادة اتحاد كينيا الإفريقى لإقرار السلام ، وكان هذا إفلاسا لخطة بريطانيا السياسية فى كينيا ، وتحت شعار إقرار السلام طرد أفراد الكيكويو من أرضهم التى يعملون فيها لتفسيح الحكومة المجال أمام بضعة آلاف من المستعمرين البريطانيين » .

واستمرت هذه المعاملة الظالمة وتسربت بعض أخبارها

إلى العالم الخارجى رغم محاولة الحكومة البريطانية طمس معالمها ، وكان من أهم ما حدث أخيراً مأساة معتقل «هولا» فى المديرية الساحلية فى كينيا ، وهى مأساة ظهرت فيها همجية الاستعمار وسمع بها الرأى العام العالمى ، ودار حولها نقاش طويل فى مجلس العموم البريطانى واضطرت بريطانيا إلى تشكيل لجنة تحقيق فى أمرها :—

حدثت هذه المأساة فى ٣ مارس ١٩٥٩ . فى معتقل «هولا» مجموعة من المعتقلين ، الذين تعتبرهم الحكومة خطرين ومتعصبين ، وأرادت الحكومة أن تسخرهم للعمل فى مشروع زراعى معين ، وكان رد المعتقلين أنهم يرغبون فى تنفيذ الأعمال التى تعود عليهم بالنفع مادام الهدف إعدادهم للحياة العامة كما تدعى الحكومة ، وأبت إدارة المعتقل إلا أن ينفذوا ما يكلفون به ، وأطلقت عليهم حراس السجن فأنهالوا عليهم ضرباً ، ، انجلى الموقف الدامى عن مقتل أحد عشر معتقلاً ، وجاء فى تقرير لجنة التحقيق «إن الضرب أفضى إلى الموت، ولكن اللجنة لا تستطيع أن تقرر أى هذه الضربات كان مميتاً، وبالتالى لا يمكن باطمئنان تحميل المسئولية لفرد أو أفراد محدودين من الحراس » ويتابع مستر لينوكس بويد وزير المستعمرات دفاعه فى مجلس العموم البريطانى

فيقول : « إن هذا الحادث ينبغي ألا يحجب عنا الجهود التي تبذلها حكومة كينيا للعودة بالحياة إلى سيرها الطبيعي » !!
وقد صرح مستر جولييان أمري في مجلس العموم أن عدد المعتقلين في أوائل عام ١٩٥٩ كان ثمانين ألفا وبعد مأساة « هولولا » نقص العدد إلى نحو ألف في نهاية أبريل .

والواقع أن أعدادا كبيرة من هؤلاء الأبرياء حولتهم الحكومة من المعتقلات إلى معسكرات العمل والتأهيل أي أنهم من الناحية العملية ظلوا معتقلين وإن تغير الاسم من معتقل إلى معسكر عمل .

وتقدر المصادر الإفريقية القتلى من الإفريقيين بنحو ثلاثين ألفا في حوادث ماوماو . . . وتهبط المصادر الأوربية بالرقم إلى نحو ١٠٥٠٠ من الثوار و ٨٤ من المستوطنين و ١٥٠٠ من الإفريقيين غير الثوار . وبهذا يصل التقدير الأوربي إلى نحو ثلاثة عشر ألف قتيل من الإفريقيين .



ما بعد الثورة

إلى مؤتمر لندن ١٩٦٠

ثورة ماو ماو ايندانا بتعديلات وتطورات
عميقة في حياة كينيا ، فقد حدث فراغ سياسي
كبير بعد حل اتحاد كينيا الإفريقي في منتصف عام ١٩٥٣ ،
وبرز في الميدان قادة جدد تولوا أمر القضية ، واضطرت
بريطانيا أمام العزم الإفريقي إلى إحناء رأسها وإعطاء
الإفريقيين جانباً من حقوقهم الطبيعية .
في هذه المرحلة برز اسم « توم مبيويا » وهو الآن في
الثلاثين من عمره .

ولد مبيويا لأبوين فقيرين في مزرعة من مزارع السيدل
في مرتفعات كينيا ، يمتلكها أوربي مستوطن ، وجاهد أبوه
في تعليمه ، فألحقه بمدارس الإرساليات ، وانتهت أيام دراسته
العالية عندما عجز الوالد عن متابعة الإنفاق عليه ، وتلقى برنامجا
في الصحة العامة في نيروبي يؤهله لأن يعمل مفتشاً صحياً في
الحكومة ، وبدأ يستمع إلى كينيا تا ويتأثر به ، وأحس في عمله
المأملة الظالمة التي يلقاها الإفريقيون في وطنهم .

كان مع مبيويا زملاء اورييون يقومون بنفس عمله ، ويتقاضون ما يزيد على أربعة أضعاف راتبه ، ورأى كيف يأثف بعض البيض من أن يتعاملوا مع الإفريقى مهما كانت درجة تعليمه ووضعه الاجتماعى .

وعندما اعتقلت الحكومة كنياتا ، تقدم مبيويا لمساعدته ، واطمأن «أوديدي» الذى خالف كنياتا فى زعامة الاتحاد إلى قدرة مبيويا على تنظيم الدعاية ، فجعله ضابط العلاقات العامة فى الاتحاد . واعتقلت الحكومة أوديدي فى مارس ١٩٥٣ . وقام مبيويا بأعمال أمانة الصندوق وتابع دفاعه عن كنياتا مؤمنا ببراءته من أعمال العنف ، وسرعان ما وجد مبيويا نفسه فوق موجة الأحداث .

وبعد حل اتحاد كينيا الإفريقى ، أصبح « اتحاد العمال فى كينيا » الهيئة المعبرة عن آمال الإفريقيين ، وتولى مبيويا الأمانة العامة لهذا الاتحاد ولم يكن يزيد عمره عن ثلاثة وعشرين عاما ، وأتيحت لمبيويا فرص الدراسة النقاية والاقتصادية فى الهند وبريطانيا وأمريكا . وعاد إلى وطنه ليتابع كفاحه السياسى ، واستطاع أن ينجح فى انتخابات المجلس التشريعى عن نيروبي .

* * *

نعود الآن إلى الشهور القليلة التي تبعت حل اتحاد كينيا
الإفريقي ...

فرغم العمليات العسكرية الصارمة ، لم تستطع الحكومة
أن تفرض استسلاما غير مشروط على الثوار ، وعرض ذوو
النفوذ من الإفريقيين على الحكومة استعدادهم للمساهمة في وضع
حد لهذا الصراع الدموي .

وسافر «مورمي» - الذي كان قائما بأمانة اتحاد كينيا الإفريقي
قبل حله - لمقابلة المسؤولين في وزارة المستعمرات ، واقترح
مورمي في سبتمبر ١٩٥٣ أن تفرج الحكومة عن الزعماء
السياسيين ليتعاونوا مع الحكومة على إيقاف الثورة ، وأن تعقد
الحكومة مؤتمر مائة مستديرة يحضره ممثلون من كل عناصر
كينيا ليضعوا برنامجا إصلاحيا شاملا ، وأن تبذل الحكومة
جهدا في التنمية الاقتصادية في المعازل وتوفر الأرض في
المرتفعات البيضاء للإفريقيين ، وأن تقبل الحكومة مشروعات
المعونة التي تقدمها الأمم المتحدة أو أية هيئة أخرى ، وأن تقرر
مبدأ المساواة في المجالس النيابية والتنفيذية مع تطبيق الديمقراطية
السياسية ، والسير نحو إلغاء الحاجز اللوني .

واقترح مورمي أن تخضع الأرض الجديدة المعطاة
للإفريقيين لرقابة فنية تكفل حسن القيام بأمرها .
وكان نصيب هذه المقترحات الرفض من وزارة المستعمرات
واشتدت حكومة كينيا في معاملة الإفريقيين .

وفي مارس ١٩٥٤ أعلن ليتلتون — وزير المستعمرات
البريطاني — دستوراً انتقالياً يعاد النظر فيه عام ١٩٦٠ .
والتعديلات التي اقترحها هذا الدستور تتلاءم مع إقامة
حكومة متعددة العناصر في كينيا وتمثل الأوربيين والآسيويين
والإفريقيين ، فكينيا — كما يقول الوزير — « لم تعد وطننا
لعنصر واحد » . وبهذا تحاول بريطانيا أن تطبق سياسة
المشاركة بعد أن تعثرت سياسة السيادة البيضاء المطلقة واصطدمت
بالوعى الإفريقي الجديد .

وكان أهم ما في المقترحات الجديدة إنشاء مجلس وزراء
يتكون من حاكم عام له نائب وستة أعضاء رسميين (بحكم
وظائفهم) واثنين معينين ، وستة غير موظفين ، وهؤلاء الستة
منهم ثلاثة أوربيون وآسيويان (مسلم وهندوكي) وإفريقي .
أما المجلس التنفيذي فيتكون من مجلس الوزراء السابق مع

إضافة عربي واثنين من الإفريقيين ، ورأت بريطانيا إنشاء وظائف السكرتيرين البرلمانيين .

وطالب الأعضاء الإفريقيون في المجلس التشريعي بأن يكون لهم مقعدان في مجلس الوزراء ، وعارض الأوربيون هذه الرغبة ، فاستقال « ماثو » أقدم أعضاء المجلس التشريعي والإفريقي الوحيد في المجلس التنفيذي .

وكانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ التطور الدستوري في كينيا التي دخل فيها إفريقي الهيئة العليا التي تصنع سياسة البلاد . واعتمدت الحكومة دستور كينيا على أن يتكون المجلس التشريعي من مجلس الوزراء وستة أعضاء — بحكم وظائفهم — و ٣٦ منتخبين يمثلون الدوائر الانتخابية ، منهم ١٤ إفريقياً و ١٢ منتخِباً يمثلون مصالح خاصة ، وهؤلاء ينتخبهم المجلس التشريعي مجتمعاً كدائرة انتخابية (من هؤلاء أربعة إفريقيون) .

كانت التعديلات التي أدخلها دستور الانتقال — مع ضآلتها — سبباً في ثورة المستوطنين وانشقاقهم على أنفسهم وظهور أحزاب في كينيا تعبر عن هذه الاتجاهات : —

١ — الحزب الكيني البريطاني الإمبراطوري : ويجمع

المتطرفين الذين يرون حكم البلاد بالقوة وعلى رأسهم «جروجان»
عضو المجلس التشريعي وعميد المستوطنين ، ويمكن أن نرى
نموذجا من تفكيره عندما وقف يخطب في أحد اجتماعات
الحزب الجديد متحدثا عن ماو ماو وواجب الحكومة نحوها
ونحو كينيا :

« نحن الأوربيين ينبغي أن نتابع حكمنا لهذه الأرض
بالنظام الحديدي النابغ من نفوسنا ، إن الشاطئ الشرقى
لإفريقيا يقع في الخط الأمامى لأى نزاع مستقبل ، وإن معركة
كبيرة سوف تقوم عاجلا أو آجلا مع جموع الملونين فى الشرق
المتيقظ ، والرد الوحيد على ماو ماو هو أن نقبض على مائة منهم
ونشنق منهم خمسة وعشرين ، ثم نطلق الباقين بعد أن يروا
الشنق بأعينهم ليخبروا قومهم بما رأوا .

وإذا لم تنجح هذه الوسيلة فى إرهاب الإفريقيين ، فيجب
طردهم من مزارعهم وتسليم الأرض للأوربيين ، ليتعلم
الإفريقيون كيف يحترمون حكم الرجل الأبيض للأرض ، وإذا
أعيدت أرض الكيكويو إلى التاج ، سيعلم كل إفريقى أن
مَلِكَتَنَا الصغيرة حاكم كبير .

٢ — حزب الاستقلال الفدرالى بزعامة ميجور «روبرتس»

ويرى تقسيم كينيا : فيستأثر البيض بأفضل مناطقها وتحيا
العناصر الباقية في المناطق الأخرى .

٣ - حزب القطر المتحد بزعماء «مايكل بلندل» ، وهذا
الحزب - رغم اسمه - قاصر على الأوربيين دون الإفريتين
والآسيويين ، ويدعو إلى قيام حكومة تمثل مجتمعا متعدد
العناصر والسيادة فيه للأوربيين بالطبع .

ورأى الأوريون في موقف الحكومة تسامحا ، ووصل
الأمر ببعضهم إلى الاستقالة من مناصبهم في حكومة كينيا ،
واصدروا بيانا وصفوا فيه الدستور الجديد بأنه خيانة .

٤ - وفي أبريل ١٩٥٩ أعلن «بلندل» استقالته ليقود
(المعتدلين) في المجلس التشريعي نحو سياسة المجتمع المتعدد
العناصر والسير إلى الحكم الذاتي ، وكون منهم «حزب كينيا
الجديدة» وأعلن هذا الحزب برنامجا ، ويرى - فيما يتعلق
بالدستور الانتقالي - أن يظل مطبقا وألا يعدل تحت ضغط
أي عنصر واحد ، والمقصود هنا بالطبع ، ألا يعدل تحت
ضغط الإفريقيين ، ويرى أن تظل مسئولية الحكومة البريطانية
قائمة حتى يصبح موقف كل من العناصر المكونة لكينيا ممكنا
من قيام نظام برلماني منتخب قادر على العمل ، وألا تكون

النسبة العددية للعناصر أساس الانتخاب ، ونادى الحزب الجديد بإلغاء المعازل القبلية والعنصرية وإتاحة الأرض للجميع ، ولاقت هذه الاتجاهات معارضة قوية من الإفريقيين ، كما قاومها نفر من المتطرفين فى المجلس التشريعى .

ومع اختلاف الأوربيين فى اتجاهاتهم فإنهم يتفقون على مبدأ أساسى هو الذى عبر عنه « لينوكس بويد » بقوله : « إن المستوطنين قد جاءوا إلى كينيا ليقوا » .

والآسيويون - من ناحية أخرى - رأوا فى الدستور الجديد إجحافا بحقوقهم ، وطالبوا بمداول إنتخابية موحدة مع الأوربيين أو منحهم مقاعد تتناسب مع عددهم . . . أما عن الإفريقيين فقد اتبع مبيويا أسلوبا جديدا أرهق به خصومه ، فهو يساوم ويصل إلى اتفاق ثم سرعان ما يطالب بأكثر مما وصل إليه .

ذهب مبيويا إلى لندن مطالبا بـ « صوت لكل مواطن » وجدول انتخاب موحدا ، ومعنى هذا أن يكتسح الإفريقيون الأوربيين فى الانتخابات المقبلة ، وتحت ضغط الحوادث اضطرت وزارة المستعمرات إلى أن تجمل عدد الأعضاء الإفريقيين فى المجلس التشريعى معادلا الأوربيين المنتخبين ، وإن كان

الأوريون المعينون قد كفّلوا أغلبية بيضاء في المجلس . وعاد
مبويًا ليقاطع المجلس من جديد .

وجاء عام ١٩٦٠ ، وفي مطلعها ألغت الحكومة الأحكام
العرفية بعد أن استمرت سبع سنوات ، وأصدرت بعض قوانين
تحل محلها ، وعقدت بريطانيا مؤتمر مائدة مستديرة لشئون
كينيا كما وعدت بذلك عند صدور الدستور الانتقالي .

بدأت أعمال هذا المؤتمر الدستوري في قصر لانكستر في شهر
يناير ١٩٦٠ ، وكان مبويًا سكرتير الوفد الإفريقي ، واستعان الوفد
بالقانوني الزنجي الأمريكي « تيرجود مارشال » محامي الاتحاد
الوطني الأمريكي لتقديم الشعوب الملونة ، وذلك لخبرته في الشئون
الدستورية ، وضم المؤتمر — إلى جانب الإفريقيين — المسئولين
من الحكومة البريطانية وحكومة كينيا ومندوبين من المستوطنين
البيض والآسيويين .

وانتهى المجتمعون إلى خطوط أهمها : —

١ — جدول انتخابي موحد مع التوسع في الشروط الواجب
توفرها في الناخب ، هذه الشروط هي : —

- (أ) القدرة على الكتابة والقراءة باللغة الدولية . أو
- (ب) أن تكون سنه فوق الأربعين . أو . . .

(ح) أن تكون له وظيفة أو دخل سنوى لا يقل عن ٧٥ جنيتها فى السنة .

وبهذا يمكن أن يرتفع عدد الناخبين الإفريقيين إلى أكثر من مليون .

٢ - أن يتكون المجلس التشريعى من ٦٥ عضوا منهم ٣٧ إفريقى . وهى أغلبية واضحة .

٣ - أن يكون للإفريقيين عدة وزارات فى مجلس الوزراء الجديد .

٤ - أن تصدر وثيقة حقوق أوصى المؤتمر بإعدادها بحيث تكفل المساواة ، وحماية حقوق الملكية بنصوص قانونية مع إلغاء نظام حيازة الأرض القديم القائم على التمييز العنصرى .

* * *

وسنقف فى هذا البحث عند مؤتمر لندن . ويمكن اعتباره مرحلة لها خطرهما فى تطور قضية كينيا ، ف لأول مرة أصبحت هناك جالية أوربية مستوطنة مستقرة تحت سيطرة الإفريقيين أصحاب الحق الأول فى بلادهم .

أثار هذا الوضع نائرة غلاة المستوطنين ، وجعل ميجور «...مجز» ينادى بأن مؤتمر لندن «ضربة قاضية للمجتمع الأوربى

في كينيا » وبدأ نفر من هؤلاء المستوطنين الذين يعيشون في غيبوبة التثاقف العنصري يفكرون في الهجرة من كينيا .
وعندما عاد بلندل - بعد موافقته على قرارات مؤتمر لندن - وصّاه بعض المستوطنين بالخيانة ، وتقدم ميجور هيوز - أحد غلاة المستوطنين - وألقى عند أقدام « بلندل » حفنة من النقود الفضية قائلا « هذه ثلاثون قطعة من الفضة .. خذها يا يهوذا ! » وفي هذا يشبهه يهوذا الأسخريوطى الذى خان المسيح بثلاثين قطعة من الفضة .

وصرح مبويا بقوله : « لقد استطعنا تفجير أسطورة السيادة العنصرية إلى الأبد » ، ولكن كما رأينا حانقين بين الأوربيين ، كان هناك حانقون من الإفريقيين يرون أن الوفد الإفريقى عاد باقل مما وعد به ، إنه وعد قبل سفره بصوت لكل فرد وبتحقيق « الحرية الآن » ولكن لا زالت دون تحقيق ذلك سنوات من الكفاح .

واعتبر الوفد الإفريقى ما حصل عليه مرحلة من مراحل كفاحه وجزءا من حق الإفريقيين عاد إليهم وأنه « لا مجال في كينيا لأوربي لا يؤمن بالديموقراطية ، وليس أمام الذين يترددون إلا أن يبيعوا أرضهم ويرحلوا » .

بهذا لم يتوقف الكفاح الكيني رغم سجن كنياتا الأب
الروحي للحركة والذي قال عنه مبويا : « إتنى لا أعتبر نفسي
بديلا لكنياتا ، إنه حين يعود فسوف تتقبله جميعا زعميا لنا » .
وكل الذي حرص عليه الإفريقيون أن يتابعوا السير على الطريق
لتحقيق حرية بلادهم .

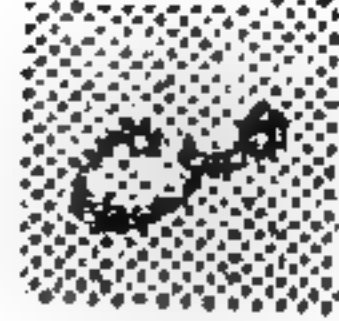


وجوه كينيا

دراسة مقارنة

هذا العرض يبدو في كينيا اتجاهان : —

١ — يرمي الاتجاه الأول إلى اتخاذ مبدأ



« تعدد العناصر » أساساً في تشكيل الحكومة ، ومن الممكن أن يتفرع من هذا الاتجاه فروع أو تنصب فيه روافد ، ولكنها تلتقي جميعاً عند هدف واحد ، هو أن تصبح كينيا وطناً للعناصر الثلاثة الرئيسية التي تحيا فيها ، ألا يستأثر بها عنصر واحد ، والخوف هنا — عند المستوطنين — من سيطرة الإفريقيين ، ويعتبر هذا من أقوى الاتجاهات التي تمثل مصالح غلاة المستوطنين الأوربيين .

٢ — أما الاتجاه الثاني فإنه يرمي إلى إرساء الحياة على أسس ديموقراطية ، وأن تكون الحكومة تعبيراً صادقاً عن القاعدة الشعبية وهي في كينيا « إفريقية » وتوفر هذه الحكومة للمواطنين فرص الحياة والإنتاج دون أن تكون هناك سيطرة سياسية أو اقتصادية أو تميز اجتماعي للمستوطنين .

* * *

وهناك أسباب أصيلة يمكن أن ترد إليها الاتجاه الذي يتبناه
الأوروبيون ، وتتضح هذه الأسباب إذا استعرضنا مناطق
الاستيطان في إفريقيا جنوب الصحراء وقارنا بين ظروفها .
فبحال الاستيطان الأوروبي في هذا الشطر الكبير من إفريقيا ،
يأخذ في الاتساع كلما اتجهنا جنوبا حتى يصل إلى أقصى امتداده
في اتحاد جنوب إفريقيا .

ولنذكر بعض الأرقام :

عدد المستوطنين في كينيا حسب إحصاء ١٩٥٨ نحو ٦٤ ألفا
بينما المجموع الكلى للسكان ٦٢ مليون أى بنسبة ١٪ . أما في
اتحاد جنوب إفريقيا فعدد الأوروبيين ٣ مليون بينما المجموع
الكلى نحو ١٤ ر ٥ مليون أى بنسبة ٢٠٪ .

واستطاع المستوطنون في جنوب إفريقيا — استنادا إلى
كثرتهم العددية — اتخاذ سياسة صارمة في التفرقة العنصرية ،
وهذه الكثرة العددية هي التي ساعدت على قيام « اتحاد جنوب
إفريقيا » في مايو ١٩١٠ وأصبح له استقلاله الذاتى ، واستمر
العمل فيه بمبدأ البوير القديم « لامساواة فى الكنيسة أو الدولة »
مع فروق محلية فى التطبيق ، وطبق الاتحاد سياسة الفصل بين
السكان على أساس اللون مع وجود مشكلات ملونين جاءوا من

تزاوج بين البوير والإفريقيين ، واتباع سياسة المعازل التي حصر فيها الإفريقيين ثم اشتد عليهم بالضرائب ليجبرهم بعد هذا على العمل في المزارع البيضاء والأعمال اليدوية والمناجم ، وانتقلت هذه الاتجاهات والقوانين مع المهاجرين الذين زحوا من جنوب إفريقيا إلى كينيا في أوائل القرن العشرين .

وعم الظلم في اتحاد جنوب إفريقيا كل القطاعات الحيوية : الزراعة والصناعة والتعدين والسكنى في المدن والتعليم والأجور واستخدام المرافق العامة ، ووضعت الحكومة قيوداً ثقيلة في أيدي الإفريقيين تحول بينهم وبين السير في طريق الحياة الكريمة النامية . وعلى أساس سياسة التفرقة ودعمها لها ابتدعت الحكومة مبدأ « العزل » عام ١٩٢١ عند ما لاحظت زيادة عدد الإفريقيين إلى درجة أفزعت البيض ، ويقتضى التطبيق الحرفي لهذه السياسة خروج أعداد كبيرة من الإفريقيين من عالم الرجل الأبيض وتخصيص أرض جديدة لهم ، ولكن الواقع الاقتصادي كان أقوى من التعصب اللوني فمجزت الحكومة عن التطبيق الدقيق ، وحاولت تغطية هذا العجز باتخاذ إجراءات قاسية في المجال السياسي خصوصاً بعد الذي رآته من تطور الإفريقيين بالرغم من العقبات التي وضعتها الحكومة في طريقهم . وفي

عام ١٩٤٨ بدأ الدكتور «مالان» في تطبيق سياسة الابرتهيد، وهي
تغيير جديد أطلقوه على سياسة العزل القديمة، ووطن بعض
الزعماء الإفريقيين أن معنى هذا تقسيم جنوب إفريقيا على
أساس عنصري، وفرحوا بهذا، لأنه سيعطيهم فرصة التطور
الذاتي دون مزاحمة الأوربيين ويقتضى هذا قيام الأوربيين في
مجتمعاتهم بكل الأعمال اليدوية، وقيام الإفريقيين في مجتمعاتهم
بكل الأعمال الفنية والإدارية، ولكن الدكتور «مالان» أعلن في
صراحة أن العزل الكامل غير متيسر في الظروف الحالية؛ لأن
البناء الاقتصادي في الاتحاد - قائم إلى حد كبير - على استخدام
اليد العاملة الإفريقية، وأخذت الحكومة تفسر هذه السياسة
على هواها، وظلت سياستها قائمة على «سيادة الرجل الأبيض»
بالرغم من الاضطرابات التي تشاهدها البلاد.

ومن ناحية أخرى لقي الآسيويون عنفاً شديداً في اتحاد
جنوب إفريقيا فعددهم الآن نحو نصف مليون معظمهم من الهنود
و ٨٠٪ من هؤلاء مواليد محليون؛ وقد جاءوا أول الأمر
عندما ضغط أصحاب مزارع قصب السكر على الحكومة في ناتال
لمعجز الإفريقيين عن تحمل جهد العمل المضني الذي أراد
الأوربيون إجبارهم عليه. واستقر المقام بالآسيويين وزادت

اعدادهم وانسابوا إلى ميدان التجارة ودعموا وضعهم المالى
وامتلكوا المزارع ، وخشى الأوريون هذا الخطر الجديد ،
وبدأت المضايقات من أواخر القرن التاسع عشر ، وصحبتها
مراحل مريرة من الكفاح من أجل حقوق الإنسان ، وقام
غاندى بدور فعال فى هذه المعركة ، واشترك فيها النساء مع
الرجال ، واستطاع الهنود الحصول على بعض حقوقهم وقد أخذت
الحكومة فى تطبيق قوانين سياسة «الارتهد» عليهم ، فحدثت
ملكيتهم وأماكن سكنهم .

ولقيت سياسة الارتهد مقاومة من الآسيويين كما لقيت من
الإفريقيين ، وعرضت الهند وباكستان قضية التفرقة العنصرية
على هيئة الأمم المتحدة ، وانضمت إليهما حكومات من الشرق
الأوسط وجنوب آسيا وعينت لجنة عام ١٩٥٢ لدراسة المشكلة
وضعت عنها تقريراً مفصلاً . واصدرت الجمعية العامة لهيئة الأمم
المتحدة عام ١٩٥٦ قراراً ضد التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقيا
أعربت فيه عن أسفها لأن حكومة الاتحاد لا تحترم الالتزامات
التي تضمنها ميثاق الهيئة وطلبت إلغاء هذه القوانين الجائرة .

وعاد الموقف إلى التأزم فى ربيع ١٩٦٠ ، وكان محور
النزاع مطالبة الإفريقيين بإلغاء نظام التصاريح ، وحدثت

اصطدامات مسلحة بين الحكومة والإفريقيين ثار لها الراى العام العالمى ، واضطرت حكومة الاتحاد إلى إعادة النظر فى نظام التصاريح ، ودرس مجلس الأمن قضية التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقيا ، وقرر إدانة حكومة الاتحاد ، وامتنعت بريطانيا وفرنسا عن التصويت .

* * *

وقد حاول بعض المستوطنين فى كينيا اتخاذ سياسة صارمة من التفرقة العنصرية ، وعلى رأس هؤلاء «جروجان» و«رويرتس» و«بريجز» ، ويرون فى طغيان حكومة الاتحاد نموذجاً يجب أن يحتذيه الرجل الأبيض فى أوطانه الجديدة .

ونادى بعض هؤلاء بتقسيم كينيا على أن يستأثر المستوطنون البيض بالمرتفعات ، فتكون لهم خالصة دون الإفريقيين والآسيويين ، وتخصص لهؤلاء مناطق أخرى ، وقد سبق أن ناقشت لجنة توثيق الاتحاد فى شرق ووسط إفريقيا هذا الراى عام ١٩٢٩ ، ورأت استحالة تطبيقه عملياً لعقبات جغرافية واقتصادية .

ولازال الاستيطان الأوروبى فى كينيا يعتمد على اليد العاملة الإفريقية ، وفى هذا يختلف عن مناطق الاستيطان فى العروض

المعتدلة مثل استراليا وكندا حيث يقوم المستوطنون البيض بكل الأعمال اليدوية مهما كانت صعوبتها وأجرها . وبهذا خلصت لهم الأرض وما عليها وأعانهم على ذلك أمران أولهما طبيعي والآخر بشري :

العامل الطبيعي : هو اعتدال المناخ وتشابهه إلى حد كبير مع ما الفوه في أقطارهم ؛ وبهذا استطاعوا الاستغناء عن العناصر الملونة . أما العامل البشري وله أهميته وخطورته فهو القلة النسبية لعدد السكان في بعض هذه الأقطار كأمریکا الشمالية واستراليا ، وهي قلة مكنتهم من اتباع سياسة ترمى إلى إبادة هذه العناصر إن استطاعوا ، أو حصرها كعينات بشرية في بعض الأماكن .

وكلا الأمرين لم يتوفر في كينيا . ويذكر « هاريسون نشریش » في كتابه الاستعمار الحديث (١٩٥٠) « في المناطق المدارية لا زال الأوربي موضع التجربة . ولا زلنا بحاجة إلى تبين الأثر الحقيقي للمناطق المرتفعة على الأوربي . ولا يمكن تحديد ذلك قبل أن تنشأ عدة أجيال في كل هذه المناطق . وفي جميع الحالات لم تقم إلا قلة من المستعمرين بعمل جدى مجهد ، ولم يكن في استطاعة المستعمرين — في كينيا وتنجانيقا — دون توفر ورخص الأيدي العاملة — أن يعيشوا في مستواهم الحالى . ولهذا كان لعلاقة المستوطنين بالإفريقيين في كينيا شقان : —

١ — الحاجة إلى اليد العاملة الإفريقية .

٢ — وجودها بأعداد كبيرة لا يستطيعون معها التخلص منها لو سولت لهم نفوسهم ذلك أو المبعوث بها إلى القدر الذي يرغبون في تسخيرها ، وهو ما حاولوه جزئياً مع لجنة «داو» عندما نادوا بضبط عدد الإفريقيين في كينيا .

ومن أوائل عهد الاستيطان طالب المستوطنون الحكومة أن تعينهم على تسخير الأهالي . وفي عام ١٩٠٨ وقف «ديلامير» يخطب في المجلس التشريعي قائلاً : « ينبغي أن نصل إلى طرق قانونية نجبر بها الأهالي على العمل ، وآمل أن نعتمد في هذا على الحكومة » ، ولم تخيب الحكومة ظن المستوطنين .

ومع هذا حاول سير « ادوارد جريج » حاكم كينيا العام سنة ١٩٢٦ أن (يحرر) المستوطنين من الحاجة إلى العمل اليدوي الإفريقي ، وبهذا يستطيع الاستيطان في رأيه أن يتخطى أكبر العقبات التي تعوق توسعه .

ويرمى هذا الاتجاه إلى أن تصبح مناطق الاستيطان في كينيا بيضاء مثل استراليا أو كندا يعتمد فيها البيض على أنفسهم ، ولكن هذه الآراء لم يكتب لها أن ترى النور . واستمر المستوطنون استغلال الإفريقيين وقنعوا بالإشراف أو الإدارة ،

ولماذا يجهدون أنفسهم أو يدخلون التجربة ما دامت الحكومة
توفر لهم اليد العاملة الرخيصة ؟ . . .

بهذا نستطيع أن ندرك الأساس الجغرافي لاتجاه المستوطنين
في كينيا : فهناك مجال للاستيطان الأوربي ، ولكنه مجال محدود ،
والأوروبيون لا يستطيعون أن يتكاثروا في المرتفعات إلى الدرجة
التي تجملهم - من الناحية العددية - قادرين على أن يتخذوا
- باستمرار - موقفا عنيفا صارما من الإفريقيين .

هم الآن جزيرة أوربية في محيط إفريقي ، ولن تستطيع
هذه الجزيرة أن تبتلع المحيط .

ولست لهذه الجزيرة معابر أرضية تربطها بمناطق الاستيطان
الأوربي الأخرى حولها ، فأوغنده إفريقية الطابع وقد انصرفت
عنها أنظار المستوطنين من بدء القرن العشرين عندما انتشر
فيها مرض النوم ، وتتطالع الآن أعينهم إليها بعد كشف ثرواتها
المعدنية .

والمستوطنون في تنجانيقا قلة أيضاً ، وهم معزولون عن
وسط القارة وجنوبها ، ولو كانت منطقة الاستيطان في كينيا

على صلة برّية بمناطق استيطان أخرى لطالب الأوريون بالانضمام إليها لتكوين وطن واحد كبير .

والأرض في مرتفعات كينيا ليست كلها مكشوفة ، فهناك غابات استطاعت أن تأوى المجاهدين في أثناء كفاح ماو ماو .
فإذا أضفنا إلى هذا تطور الوعي في كينيا واليقظة الإفريقية التي مثلتها مؤتمرات الحياذ الإيجابي والدعوة إلى تحرير القارة من ظلم الاستعمار والدور الذي تقوم به الجمهورية العربية المتحدة ودول إفريقيا وآسيا الحرة في تدعيم الحركات التحريرية - استطعنا أن ندرك جانباً من العوامل الطبيعية والبشرية التي تجبر بعض المستوطنين على التخفيف من حدة كبريائهم الإمبراطوري القديم .

ومع هذا كله لم يقف المستوطنون الأوريون موقفاً موحداً أو منصفاً ، ولا زال بعضهم يحيا في غيبوبة التفوق العنصري ، وإن غلب عليهم الآن محاولة الاحتفاظ - بقدر الإمكان - بوضعهم في كينيا مع إعطاء فرص محدودة للعناصر الأخرى على أن تتسع هذه الفرص - عملياً - تحت ضغط هذه العناصر . كما يحاولون تحويل الكفاح الإفريقي إلى مسالك طويلة من أعمال اللجان والمؤتمرات .

وهؤلاء المتطرفون من أمثال «جروجان» و«روبرتس»
يرون أن بريطانيا تتساهل كثيرا مع العناصر الوطنية، ويرون هذا
التساهل «خيانة» وأن أسلوب الحكم الواجب اتباعه هو ماسار
عليه في جنوب إفريقيا ممطس وهرتزوج ومالان وستريدوم.

* * *

ووصل أمر بعض المتطرفين إلى مناقشة الصلة التي تربط
كينيا ببريطانيا، وينادون بالحكم الذاتي - كما يفهمونه -
ويتساءلون: ما الذي يربطنا ببريطانيا؟ ويتحدثون عن
واشنطن وتحرير أمريكا وطرد الانجليز ويرون أنفسهم
كينيين ثم إنجليز، وأن صلتهم ببريطانيا ينبغي ألا تختلف عن
صلة الأمريكيين بها، وأن إعزازهم ينبغي أن يكون بكينيا أولا.
ويعترضون على بريطانيا: لماذا تختار هي الحاكم العام؟
ولماذا لا يكون من كينيا؟ وكيف يأتي حاكم من وراء البحار
ليبقى في كينيا بضع سنوات ثم يرحل عنها إلى مستعمرة أخرى؟
ولهذا الاتجاه نحو الحكم الذاتي أو الاستقلال رواسبه
الغائرة في نفوس نفر من المستوطنين، ولعله يرجع أيضا إلى
تأثير اتحاد جنوب إفريقيا وتطوره السياسي من أوائل القرن
العشرين. وعندما وافقت بريطانيا على أن تخصص بضعة مقاعد

للاسيويين في المجلس التشريعي ثار بعض المستوطنين ونظموا
مؤامرة ترمي إلى القبض على الحاكم العام والتخلص من السيادة
البريطانية مع أن مجموعهم وقتئذ كان نحو عشرين ألفا .

وتراعى بريطانيا هذا كله ، فهي في حاجة إلى كينيا ، وتعلم
أن هؤلاء المستوطنين سلاحها الأول في إقرار أوضاعها
وتدعيم سياستها : —

فمن الناحية الاقتصادية كان مجموع صادرات كينيا عام
١٩٥٨ : ٢٩٣ مليون جنيه يقابلها ٧٧ مليون جنيه واردات ،
وبريطانيا هي العميل الأول لكينيا وساهمت بـ ٢٧٧ مليون
جنيه من الواردات و ٨٥ مليون جنيه من الصادرات .

وأهم ما تنتجه كينيا البن ، وكان محصوله في موسم ٥٨/٥٧
نحو ٢٠٨٠٠ طن يزيد ثمنها على ٥٨٩ مليون جنيه ، ويأتي
الشاي في المرتبة الثانية وصدرت منه كينيا ما قيمته ٣١ مليون
جنيه ، هذا إلى مجموعة من الفلات الأخرى كالقطن والسيسل
الذي يستخدم في عمل الأنسجة الخشنة .

والبيرثروم ويستخدم كمادة مطهرة ، والقطن ومنتجات
المراعى ، ويبلغ الإنتاج المعدني وحده نحو ٤ مليون جنيه
في الوقت الحاضر .

فكينيا حقل من حقول الإنتاج البريطانية من الناحية الاقتصادية ، وزادت أهميتها الاستراتيجية كثيراً نتيجة للثورة المصرية في عام ١٩٥٢ وانتصاراتها السياسية وقيام الجمهورية العربية المتحدة واليقظة العربية الحديثة .

وعند تأميم القناة والاستيلاء على القاعدة تحولت أنظار بريطانيا إلى البحث عن قاعدة بديلة واستقر رأيها على كينيا ، وقوى هذا الاتجاه عند بريطانيا بعد فقد قواعد أخرى في الشرق الأوسط مثل قاعدة قبرص التي لم يبق لبريطانيا فيها إلا بضعة أميال بعد أن نالت الجزيرة استقلالها .

وتقوم بريطانيا بتعميق ميناء ممبسة وبناء أرصفة جديدة وإنشاء قاعدة برية ومطار جوى ، هذه القاعدة التي أطلقت عليها اسم « قاعدة هاكاوا » يجرى العمل فيها ومن حوله صعوبات كثيرة . وهى مدينة محصنة تستطيع بريطانيا أن تنقل منها القوات التي تحاول بها إخضاع الحركات التحررية في الجنوب العربى وأى مكان فى إفريقيا المدارية . ولى جوار هذه المدينة مساحة واسعة من الأرض المستوية صالحة للمناورات والتدريبات فهذا الاتجاه العسكرى يقاومه الإفريقيون مقاومة شديدة وقد أعلن القادة الإفريقيون مثل توم مبيويا أنهم يرون فى إنشاء

القاعدة البريطانية ما يدل على أنه ليس في نية بريطانيا التخلي عن كينيا . . وسرى هذا الشعور أيضا في آلاف العمال الذين يعملون في القاعدة .

* * *

وبعد : فقد سبقت الإشارة إلى أن هذا البحث ينتهى عند مؤتمر لندن ١٩٦٠ .

والأحداث في كينيا تتطور في سرعة . وتلقى أضواءً جديدة على الموقف . وفي خلال عام ١٩٦٠ تكونت أحزاب جديدة لتخوض المعركة الانتخابية في فبراير ١٩٦١ . ولا زال الاتجاه الإفريقى التحررى - رغم ما يلقي من صعاب - سيد الموقف . وتنطلع الأنظار إلى البطل السجين - جومو كنياتا - ليقود السفين .

والذى نود تسجيله :

- ١ - أن الأوربيين اضطروا تحت ضغط التطور الإفريقى إلى الاعتراف ببعض حقوق الإفريقيين ومطالبهم .
 - ٢ - أن الوعى الإفريقى الآن سائر في طريق صاعد رغم تضحياته والعقبات التى تواجهه في طريقه .
- وتفاعل هذين العاملين يبشر بشمرة الكفاح وإن طال الطريق .

المكتبة الثقافية

تحقق اشتراكية الثقافة

صدر منها للآن :

- ١ — الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين
للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٢ — الاشتراكية والشيوعية ... للأستاذ على أدهم
- ٣ — الظاهر يبرس في القصص الشعبي للدكتور عبد الحميد يونس
- ٤ — قصة التطور ... للدكتور أنور عبد العليم
- ٥ — طب وسحر ... للدكتور بول غليونجي
- ٦ — فجر القصة ... للأستاذ يحيى حقي
- ٧ — الشرق الفنان ... للدكتور زكي نجيب محمود
- ٨ — رمضان ... للأستاذ حسن عبدالوهاب
- ٩ — أعلام الصحافة ... للأستاذ محمد خالد

١٠ — الشرق والإسلام للأستاذ عبدالرحمن صدقي

١١ — المريخ } للدكتور جمال الدين
والدكتور محمود خيرى

١٢ — فن الشعر للدكتور محمد مندور

١٣ — الاقتصاد السياسى للأستاذ أحمد محمد عبدالحالق

١٤ — الصحافة المصرية للدكتور عبداللطيف حمزه

١٥ — التخطيط القومى للدكتور إبراهيم حلمى عبدالرحمن

١٦ — اتحادنا فلسفة خلقية للدكتور ثروت عكاشه

١٧ — اشتراكية بلدنا للأستاذ عبدالمنعم الصاوى

١٨ — طريق الغد للأستاذ حسن عباس زكى

١٩ — التشريع الإسلامى
وأثره فى الفقه الغربى
للدكتور محمد يوسف موسى

٢٠ — العبقرية فى الفن للدكتور مصطفى سويف

٢١ — قصة الأرض فى إقليم مصر للأستاذ محمد صبيح

٢٢ — قصة الذرة للدكتور إسماعيل بسيونى هزاع

٢٣ — صلاح الدين الأيوبى
بين شعراء عصره وكتابه
للدكتور أحمد أحمد بدوى

- ٢٤ — الحب الإلهي في التصوف الإسلامي للدكتور محمد مصطفى حلمي
- ٢٥ — تاريخ الفلك عند العرب للدكتور إمام إبراهيم أحمد
- ٢٦ — صراع البترول في العالم العربي للدكتور أحمد سويلم العمري
- ٢٧ — القومية العربية للدكتور أحمد فؤاد الأهواني
- ٢٨ — القانون والحياة للدكتور عبد الفتاح عبد الباقي
- ٢٩ — قضية كينيا للدكتور عبد العزيز كامل



General Collection of the National Library and Archives of the State of Palestine
 Distribution: Jerusalem

المكتبة الثقافية

- ◆ أول مجموعة من نوعها تحقق اشتراكية الثقافة .
- ◆ تيسر لكل قارئ أن يقيم في بيته مكتبة جامعة تحوى جميع ألوان المعرفة بأقلام أساتذة متخصصين وبقرشين لكل كتاب .
- ◆ تصدر مرتين كل شهر . في أوله وفي منتصفه

الكتاب القادم

الثورة العرابية

للكوثر محمد عبد الرحيم مصطفى

أول فبراير ١٩٦١